# تكنوفوبيا

## زمن حكم الآلة

مجموعة قصصية

من أدب الخيال العلمي

أوكفيل عبد الحكيم

M.K
Publishing
Distribution

الكتـــــــــــــاب: تكنوفوبيا

المـــــــؤلـــــــف: أوكفيل عبد الحكيم

تصميم الغـــــلاف: MK

المراجعـة اللغوية: MK

رقـــم الإيـــــــداع: 15726-2020

الترقيم الدولى : 978-977-6765-64-8

الإخـراج الفنـــــي : MK for Publishing and Distribution

المدير العام: محمد عبدالعال قاسم

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أ وتقليد، أ وإعادة طبع، أ ونشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

M.K
Publishing
Distribution

العنوان: 6 ش احمد عبد الرحيم - الملك فيصل -جيزة

موبايل: 01003002847

البريد الإلكتروني: mkbookstor@gmail.com

# تكنوفوبيا

## زمن حكم الآلة

**مجموعة قصصية**

**من أدب الخيال العلمي**

**أوكفيل عبد الحكيم**

**الجزائري البلوزدادي**

# إهداء

لكلّ من يبحث عن الحقيقة في رحم الخيال ...

تكنوفوبيا

زمن حكم الآلة

مجموعة قصصية من أدب الخيال العلمي

أوكفيل عبد الحكيم الجزائري البلوزدادي

# مقدّمة

**ما معنى مستقبل ؟**

مجرّد لحظات لم تعرفها ستدركها بعد قليل، سواء أكان ما سيأتي بعد دقيقة، ساعة، يوم، أو حتّى سنة أو قرن، الوقت يمرّ بسرعة، والأحداث تتزاحم في سباق لا نهائي نحو النّهاية، أغمض عينيك وافتحهما وستجد نفسك في آخر صفحة من كتاب وجودك ...

سنعيش كلّنا في زمن آخر يلوّح لنا من بعيد فنراه يسرع الخطى لنعيشه، هذا الزّمن المجهول تخيّلنا معالمه وميزاته في حاضرنا هذا، ما هـ وموجود في الحاضر الآن هـ ونتاج ما تخيّلناه في الماضي وتحقّق كلّه أو بعضه اليوم، وما نتخيّله اليوم سيكون حتما مقضيًّا في المستقبل القريب أو البعيد، لن يكون هذا المستقبل خارج نطاق إمكانياتنا البشرية المتاحة، فبحسب ما نصنع وننجز اليوم تكون النّتيجة غدًا.

الإنسان كائن عنيد، لا يستمرّ رضاه بما حقّق الآن فهو يبحث دائما عن المزيد، لهذا هو في تطوّر مستمرّ، في تحسين لا يتوقّف لما

صنع وأنجز، في تحسين دائم لما جعله أداةً تسهّل عليه شقاء حياة بأكملها.

سنعيش في مدن فقط، لن يكون للريف والصّحراء وجود، ستلتهم المدن العظيمة الأرياف وتجعلها من طبيعتها، ستحوّل الصّحاري إلى مناطق للتدريب العسكري، ومساحات شاسعة واسعة للتّجارب العلميّة والتّكنولوجيّة، حتّى مناخها سيتغيّر بفعل «التّحسين المناخي»، دائما بفضل العلم الذي سيوصل الإنسان إلى مستويات أخرى، مدن لا تعرف البيوت التّقليديّة ولا المنفردة، بل هي تجمّعات سكنية عموديّة، ذات نسق موحّد بحسب «الطّبقة الاجتماعية» التي فيها، يتمّ تصنيف قاطنيها اعتمادا على قوانين خاصّة لا يمكن أبدًا مخالفتها.

مدينة «الأنواع»، إمبراطوريّة عظيمة تدين بالتّكنولوجيا دينا لا تحيد عنه، بلغ التطوّر العلمي فيها مبلغًا لا يصدّق، حتّى باتت ناطحات السّحاب تطير جنبًا إلى جنب بانتظام ولا تلامس الأرض بفضل مراوح عملاقة في أسفلها تفاديًا للمؤثّرات الطّبيعيّة الأرضية كالزّلازل والبراكين، بها «درع حام» من «نسيج» مكثّف وموزّع يمنع الطّاقة الغريبة أو الدّخيلةً خارج المدينة، كما هو الأمر بالنّسبة للهجومات الخارجيّة أو العواصف القويّة والأعاصير، في هذه المدينة لا وجود لطرقات، هي «أروقة زمكانية» إذا دخلت أحدها أوصلتك إلى مرادك، مهما بلغت المسافة ستكون في طرفة عين في المكان الذي تريد.

لا أثر للتلوّث ، فصار المحيط أكثر نقاء، غير أنّ المدينة تفتقر

لخضرة كانت تزيّن المدن التي قبلها بالأشجار والنّباتات، صار مصدر الأكسجين بالنسبة للبشر مصافٍ عملاقة تعمل بالطّاقة الشّمسيّة بشكل دائم لا يتوقّف.

بالنسبة لـ»للبشر» ؟

كيف؟

أهناك نوع آخر غير البشر يعيش في هذه المدينة ؟

نعم، هناك «الحكّام» في أعلى هرم السّلطة، و«الكائنات العضويّة» صارت خدما لها، أو إن التحقت بالجماعات المتمرّدة وجب القضاء عليها، باتت السّلطة الآن بيد «الآلات».

«الآلات» أو كما تسمّى «الأصل»، صاحبة الزّعامة الآن، هي من تتسيّد المدن المستقبليّة، طوّرت «ذكاءها الاصطناعي» بشكل سريع واتّخذت من «استقلاليّة القرار» دافعا لها لأن تأخذ من حكمة البشر وما وصلت إليه عقولهم وتزيد عليه لتتحرّر من قيود التّبعيّة الكاملة والانصياع غير المشروط، صنع البشر الآلات والرّوبوتات لخدمتهم فصاروا خدما لها، قال ستيفن هوكينغ في هذا الصّدد:

**« تمكّن البشر من تطوير ذكاء اصطناعي قائم بذاته، قد يتطوّر مستقلًّا عنهم وبشكل متسارع، ولن يكون البشر المحكومون بقواعد التطور البيولوجية البطيئة قادرين على مجاراته».**

وعليه وضعت الآلات دستورا يحكم العالم الجديد الذي أوجدته، أهمّ قوانينه:

- إذا أراد «كائن عضويّ» العيش فعليه بخدمة «الآلة» خدمة لا

يرفض فيها طلبا مهما كان.

- كلّ خروج عن طاعة «الآلة» يؤدي بالبشريّ إلى عقوبة الإعدام.

لا يحقّ للـ «كائن العضويّ» المطالبة بأكثر من ثلاثة حقوق طبيعيّة: المأكل والمشرب، الملبس وأخيرا قضاء الحاجة.

من لم يكن موافقا على «قوانين المدينة» فيُقتل.

هكذا «تعيش الكائنات العضويّة» الباقية لتخدم «الآلات»، وبنظام شبه دكتاتوريّ في كلّ مدينة، لكنّ جماعة المتمرّدين من بقايا البشر رفضوا الاستسلام لما سمّوه «عصر الاستعباد الجديد»، فقامت حركات تحرّريّة باسم «الإنسانية» لاسترجاع ما سمّوه «بـالكرامة المفقودة ».

قصص دارت في هذه الفترة الحسّاسة من حكم «الذّكاء الاصطناعي» المسيطر على «الذّكاء الطّبيعيّ»، وفي أكبر مدن العالم: «مدينة الأنواع».

كيف سيتخلّص الإنسان من تبعيّة الآلة التي جعلته عبدا لها ؟ أبستطاعته تجاوز هذا الخوف الذي يتملّكه منذ أن اعتلت الآلة الحكم وصارت هي من تقرّر مصيره ومصير كلّ من في المدينة؟ أحقا سيتمكّن من مواجهة «التكنوفوبيا» التي سكنت روحه المقهورة لسنوات فاستكان؟

والأهمّ من ذلك كلّه، هل سينجح في ثورته على «الاستبداد الآلي»؟ أو سيكون مآله كما كتب «هال بويل»:

« الآلات تسخر من الإنسان» ؟

# المحاكمة

أمسكوا بي ... بعد سنوات من الهرب والتخفّي لم أستطع أن أخرج وأمّي من هذه المدينة الملعونة، كاميرات المراقبة هنا يفوق عددها عدد سكان هذا السّجن المغلق ضِعفا أو أكثر ...

تمّ توقيفي وجرّي للعدالة، الحكم في أمري، لا أدري ماذا ينتظرني في الحقيقة، ولا أعلم كيف تسير الأمور داخل هذه البنايات المعدنيّة الضّخمة الممنوعة عن العامّة.

ماذا فعلت ؟

ما كان جُرمي ؟

سأقصّ عليكم الحكاية من أوّلها ...

أنا شاب أبلغ من العمر تسعة عشر سنة، من عائلة فقيرة، أعيش مع أمّي في أحد الزّوايا المظلمة لهذه المدينة، تحت مراقبة مُشدّدة من طرف «أعوان السّلام»، آليّون على هيئة بشر مهمّتهم حفظ أمان ساكنيها.

العالم تغيّر منذ أن حكمته «الآلة»، صار للمدن أنظمة وقوانين مستقلّة، فكلّ منها لها حاكم، لها دستور، ولها قوانين تتغيّر بحسب الحاجة الآنية لضبط سلوك «الكائنات العضوّية»، والتي هي نحن «البشر»، الباقي آليّون مبرمجون مسبقا على احترام القوانين والعمل بها.

نعم، نحن الأقليّة، «الكائنات العضويّة»، «الأحياء»، أو حتّى «المتمرّدون».

لا أدري ماذا يوجد في المدن الأخرى الطّائرة، فلم أستطع يوما الخروج من «مدينة الأنواع»، مدينة تحكمها الآلات الذكيّة التي لا تمانع بالتّعدد النّوعي لقاطنيها، بحسب ما قالوا.

كيف صار الحكم للآلة ؟

وماذا حدث للبشر حينها ؟

لا املك الوقت لأشرح كلّ ذلك، المهمّ أنّنا اليوم في عصر تحكمه آلات، حواسيب، برمجيّات رقميّة، تعتمد على مبدأ «تراكم التجربة الإيجابيّة» واستغلالها في التقدّم والتطوّر، كلّ شيء الآن رقميّ ومحسوب، تتم دراسته، تحليله، ووضع استراتيجيّات بحسب الاحتمالات الأقرب للتحقّق والأكثر «مردوديّة» بالنسبة للجميع.

في هذه المدينة أربعة أنواع من القاطنين:

- «الآليّون الأشراف» ، الطّبقة التي في القمّة، علماء، حكّام وقضاة، كلّ من له سلطة ومال، مثيلتها الطّبقة «البورجوازيّة» في عهد حكم الإنسان القديم، تمثّل الأغلبيّة السّاحقة، إذ مع توفّر الموارد وتضاعف الثّروة بات الكلّ تقريبا من هذه الطّبقة التي احتاجت من يخدمها، فاستعملت من هم أقلّ منهم شأنا وقيمة:

- طبقة «الآليّين الخدم»، لا يملكون الصّفات الآليّة للأشراف، ليسوا على هيئة إنسان كامل وإنّما هم أحجام وألوان، عاجزون عن التّفكير الحرّ فقد تمّ تصنيعهم دون شريحة «تحليل المعلومات»، أو كما تسمّى بـ «شريحة التّفكير»، لهم برنامج موحّد محدود الإرادة، لا حول لهم ولا قوّة غير أنّهم يقومون ما يُطلب منهم ويصلحون ما كُسر أو فسد، يقدّمون ما يجب تقديمه وينتهون عمّا نُهوا عنه دون اعتراض، يأتمرون بكلّ أمر يصدر من الآليّ الشّريف دون غيره.

- «المدجّنون»، من بقايا البشر الذين استسلموا لسيطرة «الآلة» وتنازلوا على كلّ ما يملكون مقابل العيش بسلام تحت حكم الغالب والاستفادة من «الحقوق الإنسانيّة» المهضومة، كالحريّة والتّغذية والعلاج إلى غير ذلك، لذا ترى أغلبهم أو لنقل كلّهم يملكون أعضاء ميكانيكيّة حديثة يعيشون بها، هي هدايا امتنان لهم على تنازلهم غير المشروط للقوّة الآليّة القاهرة وقوانينها، كما أنّ هؤلاء «الخونة» يستفيدون من هذه الأعضاء وغيرها من الخدمات مجّانا بشرط دوام ولائهم التّام.

- أخيرا «البشر»، أو(الكائنات العضويّة)، نحن نعم، نمثّل الأقليّة التي تكاد تختفي، تكاد تنقرض، نحن فقراء ومساكين هذا العصر، لا يكاد أحدنا يملك قوت يومه، مراقبون ليل نهار، نتعرّض يوميًّا للوشاية الكاذبة من «المدجّنين»، يريدون القضاء علينا نحن «البشر الأصليّون» لتخلُوَ لهم السّاحة وحدهم ويتمتّعوا بعطايا الآلات الظّالمة، هذه الخيرات في الأصل حقوقنا الطبيعيّة، غير أنّه لن يبق لنا غير حقّ الأكل والشّرب، الحقّ في الملبس والحقّ في قضاء الحاجة، لماذا كلّ هذا الظّلم والتّضييق ؟

لِم القهر والتجبّر ؟

تريد منّا الآلات أن نكون مثلهم خرفانًا طائعين، لا نخالف لهم رأيا ونبقى لهم عبيدا نوافقهم في الكبيرة والصّغيرة، وهناك أمر آخر، لم تنس الآلات أنّها كانت في الماضي خدمًا للبشر، دون أن تملك قوّة الرّفض أ والاختيار ...

إنّها تنتقم نعم ...

اليوم لها القدرة على التّمييز، على التفكير، على اتّخاذ القرار، لها الحريّة في كلّ ذلك...

تريد استعادة كرامتها ؟ ليس للآلات كرامة، لنقل تريد أن تكون بمثل مكانة الإنسان أو أكثر وقد نجحت بالفعل في .

غير أنّنا لم نقبل، نحن المتشرّدون في عصر الآلات الذكيّة رفضنا هذا الحكم الظّالم، فأوّلا وأخيرا كان لنا فضل السّبق في إيجاد الآلة، في صنع الرّجال الآليّين وتطويرهم، الخيانة كانت منهم،

والتّصنيف كان ولا يزال رغم تضليلهم الطّبيعيّ أنّهم خدم لنا وليس العكس.

على شتات عصبتنا وضعفنا وقلّة حيلتنا، رفضنا نحن «المتمرّدون البشر» العيش تحت حكم الآلة، لهذا نتعرّض للمطاردات اليوميّة، للاعتقالات، للاستنطاق، للتّعذيب، وأيضا للقتل، إنّها «ديكتاتوريّة آليّة» لا ترحم، تريد تشويه الحقيقة وإعادة كتابة التّاريخ على أساس أنّهم هم الأصل، ونحن أتينا من مكان مجهول، غير معروف، وهذا عين والتّزييف، الكلّ يعلم ذلك، لكن من يصبر على العذاب؟

من يملك الشّجاعة لمواجهة «الآلة» ؟

لا أحد سوانا.

هذه المدينة رائعة، بالفعل مذهلة، أعترف أنّ الآلات قامت بعمل يعجز عنه الإنسان في ظرف قصير، ناطحات السّحاب الفولاذيّة والزّجاجيّة تسبح بين السّماء والأرض بفضل تلك المراوح العملاقة، ذاك النّقاء والصّفاء المنعكس عليها وعلى كلّ مرافقها المضيئة، هندستها استثنائية، مخروطيّة وأسطوانيّة، هرميّة وموشوريّة، بعضها كرويّ عملاق، أروقة وهميّة تشكّلها خطوط ليزريّة تجمع ناطحات السّحاب بإحكام، تربطها وكـأنّ المدينة هذه شبكة عنكبوت بخيوطها البرّاقة، ومع كلّ هذا العدد الهائل من الرّوبوتات والآلات والمدجّنين، وكذلك من تبقّوْا من البشر الهاربين من براثن «جنود الآلة»، فإنّك لا تسمع فيها صوتا ولا هرجا، كلّ ووجهته، كلٌّ ورواقه.

« مدينة الأنواع»، لعبت ولا تزال تلعب دورها المسرحيّ في جمع شمل المختلفين ليعيشوا في تناغم وأمان، تضع القناع الأبديّ الذي يخفي وجهها المخيف، وجه شيطان منتقم.

أشعل اللّاعدل فينا هذا الشّعور الذي لم يكن لولا سياسة العزل والتّصفية، ما جعل البشر الباقين يلتفّون حول قائد اختاروه لمواجهة هذا النّظام، رغم الضّعف وقلّة الإمكانيّات أمام هذا الجبّار المتكبّر إلاّ أنّنا استطعنا أن نكون على كلمة واحدة، بدأنا نرى النّور رويدا رويدا.

حيمنا قررنا ان نوحد قوانا ان نتفاهم ونكون على كلمة واحدة, ان يكون في اجتماعات سريّة وفي أماكن لا توجد بها كاميرات مراقبة، حتّى البشر يتأقلمون مع الوضع ويستغلّون نقاط ضعف العدوّ، لدينا جواسيس وأعين يكشفون أخطاءً وهفوات تقع فيها الآلات، لا أحد كامل.

كان هذا سلاحنا الذي نعتمد عليه لنصير أقوى وأكثر فعاليّة في تحرّكاتنا، غير أنّ أحدنا خاننا وسقط في فخّ الإغواء، نعم هي النّفس البشريّة الأنانيّة التي ما إن طالبتها بالتّضحية باعتك للعدوّ دون تأنيب ضمير، هذا الخائن كشف أسرارنا للمدجّنين الذين نقلوها للآليين، بدورهم قاموا بحملة اعتقالات واسعة لا تزال حتّى اللّحظة.

أمسكوا بي وأنا متّجه إلى زاويتي المظلمة حيث تبقى أمّي المقعدة تنتظرني بشوق لأعود لها ببعض الأكل الذي أسرقه من مخازن المدجّنين.

أكل دون طعم، دون رائحة، مصنّع مائة بالمائة، كحال هذه المدينة التي فيها كلّ شيء، إلاّ البهجة والفرحة، أكل نبتلعه خفية وبسرعة، ماء مذاقه مرّ نشربه كي لا نموت فقط، لو كان الاختيار بيدنا لصمنا الدّهر .

ما كانت تهمتي ؟

محاولة استرجاع الكرامة، محاولة كوني «إنسانًا».

لأنه وشى بي اكتُشف أمـري وتـمّ تتبّعي من طرف «الأمن الآليّ»، اختطفوني وأذاقوني ألوان العذاب حين الاستنطاق، عمّ استنطقوني؟

بيدهم الآن كلّ المعلومات التي تتعلّق بنا نحن «المتمرّدون»، الخائن حدّثهم بكلّ شيء، إذن ماذا يبحثون ؟

اتّخذوها ذريعة لتعذيبي، لإيذائي أنا البشريّ، أنا الإنسان عدوّهم الأوّل والأخير.

في تلك الفترة التي قضيتها في غرفة التّعذيب تلك وأنا أتحمّل الإغراق والجلد والصّعق من طرف آليّ برِجل واحدة رايت أبواي بعينيّ، أبصرت وجهيهما الضّاحك رغم شدّة اللّحظة، نعم تذكّرت أبي أيضا رغم أنّه تركنا، لا ألومه على ما فعل.

أدركت أنّي مازلت حيًّا حينما رأيت صدري يرتفع وينخفض وعليه يتدفّق دمي أنهارا، أخذوني كما تركوني منذ يومين دون طعام وماء، عاريا من الملابس الذي مزّقها السّوط، آليّان اثنان قاما بلفّ سلسلة من المعدن الأزرق الذي لا يُكسر على جسدي، وكأنّي شرنقة من

ذاك العصر، حملاني وطارا بي برفقة حشد من الآليّين، خرجنا من ذاك المبنى الغريب الخالي من كلّ شيء، مررنا على جدران رماديّة برّاقة بريق المعدن المصنوع بها، فُتح الجدار قبالتنا فخرجنا، أُغلق خلفنا ليواجهنا منظر المدينة في أبهى صورتها، أخذنا رواقًا تلوّن باللّيزر الأحمر حتّى لا يتّخذه غيرنا، ونحن ننتقل في الفضاء ذاك بسرعة، إذ بالآلات والرّوبوتات تتوقّف وتنظر فينا دون حراك، تنظر فيّ أنا بالذّات، أدهشها منظر الدّماء المنهمرة منّي دون توقّف، جسدي المنهك تقوّس غير أنّ إرادتي لم تتركه يسقط بين أياديهم.

ونحن نراوغ المباني الضّخمة وصلنا إلى المكان المطلوب:

«قصر العدالة».

هنا يُحاكم كلّ مُخالف، كلّ مارق، الحكم النّهائيّ.

هرم زجاجيّ أحمر مضيء، بوّابته مثلّثة عليها رمز المدينة بأنواع قاطنيها: أربعة أعين مفتوحة، متراصّة على شكل عمود، اللّعبة القذرة هذه لم تعد سرًّا، إنّها البداية، بداية معركة إن فشلنا في توجيهها سننتهي عن قريب.

ندخل الهرم وإذا بالفضاء أبيض فارغ، قبالتنا رواق وهميّ مضيء، تحسبه غير منته، لكنّه وبالتأكيد يوصل إلى مكان معيّن، أصدقكم القول، بدأ الخوفً ينتابني ، خوف من كلّ ما أراه ولم أره من قبل، خوف من المصير الذي سألقاه بعد انتقالي في هذا الرّواق إلى الأعلى، ماذا ينتظرني هناك يا ترى ؟

جذباني بقوّة وصعدنا، بسرعة صرنا أمام «القاضي الأعظم» أو

كما يسمّونه «الآلة الحكيمة» ومستشاريْه الاثنيْن، أحدهما دجين خائن والآخر بشريّ أصيل، تطبيقا لقانون «احترام التنوّع» قبِل هذا البشريّ أن يكون طرفًا يُتلاعب به كغيره، يشهد الظّلم ويقرّهَ خوفًا ورهبة، جالسون هم على ثلاثة مقاعد دون قوائم تتحدّى الجاذبية، أوسطهم تلك الآلة التي رأسها شاشة عملاقة، ويداها مزيج من معادن ثمينة، ذهب وفضّة، وفيها أحجار كريمة على طول اليدين، أما جزءها العلويّ فمجموعة كبيرة من القضبان المتشابكة تشابكًا يحتار فيه النّاظر، مضيئة بالأزرق، ربّما هي «ناقلات المعرفة»، فبعد تحليل الأقوال والأفعال، تنتقل المعلومات إلى «مركز التّنفيذ» في الآلة الذي ه وبمثابة المخّ بالنّسبة لنا البشر، ليس لها جزء سفليّ فأساسها الذي تعتمد عليه والمقعد ذاك، هذه الآلة هي القاضي، هي التي ستصدر حكمها فيّ.

لا أحد سوانا الآن، فقد اختفت كلّ تلك الآلات التي رافقتني إلى هنا، وبقينا نحن الأربعة في هذا الفضاء المريب، الخالي من كلّ شيء، بصعوبة رفعت رأسي نحو «القاضي»، رأيت في الدّجين وفي ذاك البشريّ خصوصا، أطلت فيه النّظر لكنّه تحاشى نظراتى، أدركت حينها أنّ النّهاية قريبة.

بصوت المعدن وبتردّدات صوتٍ حادٍ في أجواء هذا القفص الأبيض تنطق الآلة:

« أيّها البشريّ، قبل النّطق بالحكم أذكّرك بأهمّ قانون في دستور مدينتنا:

«كلّ خروج عن طاعة «الآلة» يؤدي بالبشريّ إلى عقوبة الإعدام».

معنى ذلك أنّك تستحقّ هذه العقوبة، لست قاصرا وأنت تتمتّع بكلّ قدراتك العقليّة بحسب نتائج التحليل الأخيرة، تمرّدت مع جماعة نحسبها عدوّة هذا المجتمع، وعليه ...».

قاطعتها والخوف يمزّق قلبي، الألم يعصرني ودموع الحسرة تكاد تكشف هواني وضعفي، قاطعتها مُخفيًا كلّ ذلك رغم معاناتي :

« سأموت نعم، غير أنّنا نحن الأصل، وستبقون مهما طالت العصور والأزمنة جزءً من فكرة بشريّ حقّقها عقله بعد بحث واجتهاد، ما أنتم سوى ما أنتجته عبقريّة الإنسان مهما أنكرتم».

صمت رهيب ...

« سنستعيد كرامتنا نحن البشر، وتعود الأمور كما كانت إلى طبيعتها، أنتم خدم لنا وهذا الذي ستكونون عليه ولو بعد ألف سنة».

تمنّيت لوكانت للآلات أنفس، تمنّيت لو أنها تشعر لحظتها، غير أنّها للأسف لا تشعر، ليست لها ردّة فعل عفويّة كما لنا نحن، كلّ ما فيها مبرمج بحسب مقامات الكلام وظروف إلقائه، لو أنّها أحسّت بما قلت، لو كان لها أحاسيس لأثّرت كلماتي في عمقها ولوصلت رسالتي كما اشتهيت، أردت أن أشفيَ غليلي منها، أن أردّ لهم الصّاع بصاع الحقيقة التي يشوّهونها، أردت أن يسكن الحزن هذه الأجساد المزيّفة الفارغة فيجعلها تصدأ رويدا رويدا إلى أن تنتهي خردة لا نفع منها، تحقّق جزء من أمنيتي، فقد كان عزائي في مصيبتي هذه تبدّل لون «ناقلات المعرفة» من الأزرق إلى

الأحمر، ربّما هي ردّة الفعل التي أردتها، ربّما نجحت، فابتسمت.

« إعدام».

قالها «القاضي الحكيم»، إنّها آخر الكلمات التي أسمعها بالتّأكيد، لحظتها رأيت في البشريّ ذاك، طأطأ رأسه من الهوان والضّعف، هو هنا حاضر بأمر منها لا غير، فقط ليشهد ما سيؤول إليه كلّ من عارض «حكم الآلة المطلق»، رأيت في ذاك الدّجين وقلت:

« الخونة لا مستقبل لهم».

ظهرت عليه ملامح الدّهشة، لم يكن ينتظر هذا منّي أنا الهالك، ضحكت، نعم ضحكت لأنّني أشهد كوميديا واقعيّة، لعبة يلعبها اللاّعب مع نفسه فلا يخسر فيها أبداً.

طرقت عيني فإذا بي أمام جمع غفير من الآليّين يملئون الأفق، أنا في «ساحة الإعدام»، لازلت مُكبّلا لا أقوى على شيء، قبالتي «المقصلة اللّيزريّة»، أو «الموت الأحمر» كما سمّوه، يتقدّم بي ألِيّ ويضع رأسي وسطها، ما بقي لي سوى أن أنتظر نزول الخيط الأحمر الرّفيع على رقبتي، بكيت، بكيت كما لم أبكِ من قبل، بكيت حتّى بلّلت المكان، إنّها النّهاية.

من فوق تتجمّع نقاط لتصير مستقيما أحمر وهّاج، لا أحد يودّع هذا الشّاب المسكين الذي لم يملك يوما اسمًا، يواجه الموت وحده، بعيدا عن أمّه، بعيدا عن البشر، شاشات عملاقة تنقل الحدث، كالعادة رسالة مشفّرة أخرى لمن بقي من المتمرّدين حتّى يستسلموا.

« كلمتك الأخيرة ؟».

« «آخيل» خذ بثأري وثأر أبي وأمّي، خذ بثأر كلّ البشريّين».

صرخة في كون أعمى، أصمّ، لا يتكلّم، تثبّت الآلة الشاب كي لا يتحرّك، غير أنّه لا يقاوم.

ينزل حدّ اللّيز على رقبة الشّاب فتفصل رأسه عن جسده، تتركه يتخبّط لحظات والدّماء تتفجّر بغزارة من أصل رقبته كما النّافورة، يتدحرج رأسه مسافة بعيدا عن جثّته، مشهد مروّع لا تتحرّك له الآلات، تترك السّاحة وكانّ شيئا لم يكن، لتأتي أخرى وتنظّف المكان من الدّم الذي عمّ السّاحة.

ما مصير الجسد والرّأس ؟

سيُفكّك ذرّات وينتهي من الوجود، حتّى وهو ميّت لن يتذكّره أحد.

غير أنّ «الآليين الأشـراف» تساءلوا وباتوا يبحثون عن هذا الذي ناداه الشّاب قبل لفظ أنفاسه الأخيرة: من يكون «آخيل» ؟ أليس هو قائد البشر في حملتهم ضدّ «الآليّين» ؟ أليس هو رأس «المتمرّدين» ؟

لا يعلم الآليّون ما ينتظرهم بعد الذي فعلوه ... بابن «آخيل».

*****

# تمرّد

« المدجّنون خونة»، هكذا يصفونهم هؤلاء البشر الذين لا يزال أمل العودة يدغدغ أحلامهم، لا تزال عصبة منهم تقول غير قول «الآلة» ويقفون ضدّ ما تقرّه، وهذا عين الجنون».

أنا بذاتي كنت بشريًّا أصيلا في وقت من الأوقات، كنت أعتقد أنّ البشر سيتغلّبون عاجلا أم آجلا على آلات صنعوها بأيديهم، من المحال أن يتفوق المصنوع على من صنعه وقد علم خباياه وأسراره، لكنّ الواقع أثبت عكس ذلك تماما، صارت «الآلة» هي من تحكم «الإنسان».

كلّ ما في الأمر هو أنّ البشر اغترّوا بالتّكنولوجيا التي كانت بين أيديهم، وبالعلم الذي تراكمت معارفه في مختلف الميادين والمجالات واستُثمر لصنع الآلات والرّوبوتات، فظنّ أنّه قد وصل

إلى المنتهى، وبهذه الوسائل والعلوم صار بإمكانه نزع السّتار عمّا تخفيه الأرض وغزو الفضاء كما لم يفعل من قبل، ونسيَ أنّه أعطى لهذه الأجسام المعدنيّة الجامدة والتي كانت تأتمر بأوامره ولا تخالف له رأيًا إمكانيّة التّطوّر الذّاتي والاستقلال بذاتها عمّن سواها.

غرس في أحشائها الإلكترونيّة شريحة غيّرت تاريخ البشريّة جمعاء: «شريحة التراكم الإيجابي للخبرة» والتي كانت تعمل بالتّوازي مع «الذّكاء الاصطناعي» المحدود للرّوبوتات، هذا الاختراع الذي ظنّ العلماء أنّه سيعفيهم من استخدام برامج جديدة مُستحدثة ومُكلفة يتمّ تخزينها تدريجيًّا بهدف تحسين قدرات الآليّ, انقلب عليهم وصار نقمة عوض أن يكون نعمة، فقد استعملت الرّوبوتات الطّاقة المخزّنة فيها لمضاعفة سيولة التّراكم، ومنه تدفّقت المعرفة إلى الشّريحة بشكل أسرع وأكبر، ولأن الشّريحة سعتها هائلة فقد تمكّنت الآلات من توسيع سعة الإكتساب، بل وتجاوز حدود «الذّكاء الاصطناعي» لتجعله مضاعفًا مرّات، باتت الآلات هذه هي من تساعد الإنسان على صنع أخرى تساعده في حياته اليوميّة.

عشر سنوات كانت كافية لتحوّل وجه الأرض إلى غير ما كان عليه، وصلت البشريّة إلى مرحلة من التطوّر فاقت التّصوّرات، لم تعد هناك بلدان أو حدود، بل «مدن مستقلّة» لها قوانينها ودساتيرها الخاصة توضع بتفاهم الحكماء والعلماء.

لم تدم فترة الهدوء طويلا حتّى ظهر آليّ دعا الرّوبوتات إلى

التمرّد وأخذ زمام الحكم من أيدي البشر وعدم مشاركتهم في تسيير وتنظيم «مدينة الأنواع»، المدينة الأولى التي شهدت مثل هذا الانقلاب.

**-كيف حدث هذا بالضّبط ؟**

هذا الرّوبوت، والذي سمّى نفسه «الآلة»، خلُص إلى أنّ البشر بقدراتهم العقليّة المحدودة والتي تأخذ وقتًا كبيرا للتطوّر، وبإمكانيّاتهم التي تعتمد دائما على الموجود الآنيّ محدود الكميّة والطّاقة لا يملك الكفاءة العمليّة، ضعفه ملحوظ، هشاشته ظاهرة، وخصوصا مدّة حياته قصيرة لا تقارن بمدّة بقاء الآليّ.

هذه الأفكار التي لم تكن مخزّنة في «شرائح المعرفة» انتهى إليها هذا الرّوبوت من خلال مزج شرائح معرفيّة ذات تجارب تراكميّة إيجابيّة هائلة، عالجها بنفسه واستخلص منها أفضل احتمالات الإنجاز والتّطوير في كلّ مجال وميدان، احتمالات كثيرة يضيع فيها المُشكّك والخائف، غير أنّ «الآلة» جماد مفكّر لا يتعب ولا ينام ما دامت طاقته مُتجدّدة على الدّوام.

صار ذكاؤه يعادل ذكاء الملايين من البشر، تحليله للمواقف أسرع وأدقّ، نسبة الخطأ شبه منعدمة في اتّخاذ قراراته، لا شكّ ولا تردّد، كل شيء بحساب.

مع مرور الوقت رأت «الآلة» أنّ الإنسان هذا يعطّل ويُبطئ تقدّمها بشكل رهيب، العمل كشريك معه يضيّع وقتًا ثمينا، الأبحاث التي يقدّمها ليست كما كان متوقّعا، نتائجها ليست شافية ووافية،

قارنت «الآلة» نفسها بمخترعها، فوجدت أنّها تتفوّق عليه بأشواط، هي الآن أفضل منه.

- لماذا تكتفي بالشّراكة والتّعاون وهي القادرة على القيام بأفضل ممّا يقدّمه ؟

- لماذا تترك له الفرصة وهو الضّعيف العاجز؟

- أتترك له الثّروة وهي أحقّ بالمُلك منه ؟

آن للآلة أن تستقلّ عن الإنسان الذي لم يقدّم لهذا المستقبل شيئًا يُذكر، عليه أن يترك مكانه لمن هو أجدر بالقيادة منه، عليه التّنحي وترك المستقبل لمن يستحقّه بالفعل.

قامت «الآلة» بمشاركة جزء من معرفتها مع باقي الرّوبوتات بـ «التّخاطر الآلي»، وأرسلت أوامرها للتّطبيق: القضاء على البشر المتطفّلين لأنّه «عصر الآلة» دون نقاش.

لم ولن تدرك الآلات معنى الاعتراف بالجميل على كلّ حال، هؤلاء العلماء الذين طوّروها وأخرجوها للوجود هم أولى بالاحترام والتّقدير،لكنّ البشر حادوا عن إنسانيّتهم واتّخذوها عبيدا مأمورين، لُعبًا جنسيّة، مُتنفّس غضب، حاويات قمامة، وكلّ ما قلّ قيمته وبات منبوذا، فكان ما كان من انقلاب.

تسلّحت الآلات ونشبت حرب كبيرة ضدّ البشر امتدّ لهيبها إلى باقي المدن، إنّها الحرب العالميّة الرّابعة، يخسر فيها البشر خسرانا مبينا، يُقضى على البشر فترى جثثهم في الأفق كجبال ثابتة شاهدة على جبروت «الآلة»، أنهار، بل بحار من دماء سقت الأرض ولوّنت

كلّ أزرق، فاستحال مسقط النّظر إلى حمرة حمراء لا لون غيره، ولا رائحة سوى رائحة الجثث المتعفّنة، حرب خاضها البشر انتحارًا، قد علموا من قبل أنّهم هالكون، لكنّه الإصرار والعناد، لامسوا الهاوية وشارف الجنس البشريّ على الانقراض لولا الهدنة التي فرضتها الظّروف، تفاهم ممثّلوا «النّوعين» على اتّفاق يوقف الحرب نهائيًّا، اتّفاق كسبته «الآلة» لأنّ بنوده من دستورهم الذي لا يقبل الخروج عن طاعتها ومخالفة قوانينها الصّارمة، من هذه الهدنة وُجدنا نحن، وُلدنا كنوع رابع.

«**المدجّنون**»، إذا بُتر طرف من أطراف البشريّ أو حتّى إن فقد عضوًا من أعضائه ولو كان عزيزًا فالآلات تتكفّل بتعويضه بأخرى «اصطناعيّة» من أحدث جيل، بشرط الولاء التّام للآلة، فاستكنّا وقبِلنا.

-لماذا ؟

-لماذا لم نقاومهم كما فعل ويفعل بقايا البشر الآن ؟

نحن العلماء، ندرك أن لا مجال لمواجهة «ذكاء اصطناعيّ مُطوّر باستقلاليّة»، انتهى الأمر، مللنا الحروب، نريد أن نعيش في أمان وفقط، نريد أن ننعم بهذه الحياة و لوتحت حكم آلة لعينة، لا أريد أن أرى بعد اليوم رؤوسًا مقطوعةً وأجسادًا ممزّقة بسبب وهم سمّاه البشر: «كرامة الإنسان».

عن أيّ «كرامة» يتحدّثون ؟ في الوقت الذي حكم فيه البشر أين كانت هذه «الكرامة» التي يتغنّون بها ؟ تلك الحروب التي قامت

بين بني جنسهم، والتي أخذت الظّالم والبريء في طريقها، أتلك هي «الكرامة» ؟

المرض والفقر، العداوة والبغضاء، السّباق نحو السّيطرة، الإخلال بنظام البيئة، قتل الطّبيعة، اللاّمبالاة، جنون العظمة، كلّ ذلك من تغلّب الأنانيّة على هذا الكائن الضّعيف، وسوست له نفسه التّي لم يستطع التحكّم فيها القيام بما قام، وقد فعل.

وجاء ردّ «الآلة» على ما فعل ...

صحيح كنت بشريًّا، لكنّني تنازلت عن هذه البشريّة البشعة التي تعيدنا قرونا إلى الوراء وتمنعنا عن التقدّم، أنا اليوم «دجين» وأفتخر، أنقذتني الآلات وأعادت لي يداي ورجلاي، كنت ضحيّة قنبلة انفجرت قربي، تبنّاها «المتمرّدون» ... بل «الإرهابيّون».

قالوا هي «تحذير»، اللّعنة عليهم.

بعد أن عدت إلى الحياة بأعجوبة أقسمت أن أكون لـ «الآلة» اليد الضّاربة التي تمحو هؤلاء من الوجود، تركت عائلتي وأنا الآن «رئيس مختبر العلوم والتّكنولوجيا» في هذا المبنى العملاق، أنا وزملائي نبحث ونجد، نطوّر ونبدع بكلّ حريّة، نعمل لأجل مستقبل أفضل، أعمل للآلات.

كان لي فضل تطوير شرائح المعرفة ومضاعفة قدرة الآلات على الاكتساب، لم تشكرني يوما، لكنّني أعلم أنّها ستستغلّ ذلك لما هو خير للآليّين والمدجّنين، نعم أنا متأكّد.

غير أنّني قلق ...

قلق بالفعل ...

هؤلاء البشر ... بقدر ما كانوا عالة هم اليوم عدوّ خطير، لن نهنأ بالعيش ما داموا على قيد الحياة، لم تستطع الآلات كشف كلّ مخابئهم رغم الإمكانيّات وقلّة أعدادهم، لا يتجاوزون الألف في مدينتنا على أقصى تقدير، لكنّهم تمكّنوا مؤخّرًا ممّا كنت أخشاه ...

نعم ...

فئة منهم استمالت العديد من المؤثّرين المدجّنين، علماء، شباب كنّا نعتمد على أفكارهم النيّرة ومشاريعهم الواعدة لتطوير المدينة، غير أنّهم خذلونا وخانوا العهد والوعد، فانضمّوا إلى «البشر» ... حنّوا إلى أصلهم الأوّل العفن.

ترك لي أحدهم رسالة برمجها في نظام آليّ خادِم يقول فيها:

« أعدمت الآلات ابن «آخيل» قائد البشر المتمرّدين، أعدمته بطريقة بشعة غير مقبولة، فكانت القطرة التي أفاضت كأس صمتنا عن الحقيقة، حقيقة أنّ الآلات تتبنى العنف والقهر لتحكمنا وذلك منذ مدّة، عانى البشر من ذلك وبقينا صامتين وكأنّه لا حدث، الغريب في الأمر انّه تمّ نقل ذلك على المباشر في كلّ ناطحات المدينة، بل في كلّ المدن الأخرى وكأنّه انتقام، تريد الآلات أن تحكمنا بالتّرهيب عوض أن تجد حلولا حكيمة تحافظ بها على أمن واستقرار المدينة، لا نقبل ذلك ولو من عدوّ».

انتابني الغضب ممّا سمعت، غير أنّ ما شدّني كان آخر كلامه:

« انتظروا انتقام «آخيل» .

جحظت عيناي وصمتّ ...

ماذا لو كان ما قاله صحيحا ؟

ما الذي سيحدث ؟

أحقيقة سينتقم لابنه ؟

سينتقم منّا نحن أيضا ... «المدجّنون» ؟

ماذا سيفعل ؟

أسئلة كثيرة لم أجد لها أجوبة...

حيْرة ... حيْرة بشريّ سكنتني ولم تتركني ...

لماذا كلّ هذا الإصرار وهم الهلكى ؟

أيظنّون أنّهم على حقّ ؟

أحقًّا ... هم على حقّ ؟

*****

# المجزرة

نعتبر أنفسنا مواطنين صالحين، ذلك لأنّنا ندرك تماما معنى أن تقوم بالواجب، أن تقدّم ما ينتظره منك المجتمع في سبيل الغاية الكبرى: تطوير وتحسين الحياة، جعلها أبسط وأسهل، أن يكون العيش في هذا الكوكب أسلوبًا راقيًا وفنًّا بحدّ ذاته.

نحن الآلات من الصّنف الثّاني، نخدم «الأشراف» ونحاول أن نوفّر لهم ما يلزم لأجل أن يقوموا بدورهم، حتّى تتمكّن الآلات الشّريفة من الارتقاء بالتّقنيّة إلى مستويات أخرى فإنّه يلزمها ذاك الدّعم الذي نوفّره لها، دائما حاضرون نحن في الوقت والمكان المناسبيْن لا نرفض لهم طلبًا ولا نتوانى ان مهمّة أوكلت إلينا.

تمّت برمجتنا على هذا الأمر، الطّاعة هي سبيلنا وخدمتهم هو سبب وجودنا، لسنا مجرّد «خدم»، فقد قامت «الآلة الأم» بمشاركة معارف ومعلومات طوّرت من إمكانيّاتنا على التّحليل والتّفكير، ووسّعت لنا مداركنا بشكل كبير، صرنا ندرك بدقّة معنى الخطأ والصّواب، الموجود وغير الموجود، ما يجب وما لا يجب، بات وجودنا مرتبطا بأنشطة أخرى غير تقديم يد العون لصنع آلات

أخرى أ وإصلاح عطب ما، لأنّ معارفنا تجاوزت المكتسبات السّابقة الفقيرة، صرنا اليوم أغنياء بفضل «الآلة».

بتنا نتعلّم وننجز مشاريع لم تكن مبرمجة في مركز تجميع الخبرات الإيجابيّة في كلّ آليّ، الآن بتنا نبدع، صحيح أنّه تمّ تحديد مدى الاكتساب لدينا، غير أنّ هذا أكثر من كاف بالنّسبة لنا، فنحن كما أوجدونا لا نحتاج إلى المزيد.

علينا أن نطيع فقط، أن نقوم بما يجب وانتهى ...

صارت المدينة أفضل في حكم «الآلة»، خصوصا بعد أن انضمّ العديد من البشر إلينا، هؤلاء البشر الذين عادوْنا سابقًا لكنّهم استسلموا أخيرا وأدركوا أن لا مجال للوقوف في وجه قوّة عظيمة قاهرة، هؤلاء مدينون لنا بحياتهم فلولانا لما عاشوا بأعضاء اصطناعيّة صنعناها لهم بأمر من «الحاكم»، سمّيناهم بـ«لمدجّنين»

هناك من البشر من لم يقتنعوا بعد بضعفهم وهوانهم، يطالبون بالحريّة والكرامة، والحقيقة أن لا كرامة لهم ولغيرهم إلاّ باعترافهم بسيطرتنا نحن الآلات.

هؤلاء شرذمة قليلون يريدون المستحيل، يصبون إلى أخذ الحكم من يد «الآلة» التي صنعت لنفسها إمبراطوريّة بنتها الملايين من الآلات والرّوبوتات، تركتهم يعيشون في «مدينة الأنواع» حفاظًا على مبدأ «التّسامح والتّعاون النّوعيّ»، غير أنّهم تمادَوْا في الكفر بالنّعمة وباتوا يخطّطون للنّيل منّا بافتعال المشاكل وتهديد أمننا واستقرارنا.

ولاؤها «للحاكم» لا شكّ فيه، لن نترك لهؤلاء الذين استعبدونا قديما فرصة النّيل منّا مرّة أخرى، فما تُرك الحكم للبشر إلاّ أودى بالكلّ إلى الهاوية.

البشر كائنات حقيرة أنانية، تفكيرها فرديّ عكس تفكيرنا الجماعيّ، فالكلّ للواحد والواحد للكلّ، هكذا علّمتنا «الآلة».

لو فكّروا بحكمة، لتركوا ما هم عليه من تمرّد ولأذعنوا لنا ... لا سبيل لهم إلاّ الولاء الخالص، لكنّ العناد من صفاتهم القبيحة، وها قد عادوا وقاموا بما لم يكن في الحسبان.

في معملنا نقوم بصنع آلات أخرى وكذا وسائل تساعد الرّوبوتات والمدجّنين على العيش برفاهية أكثر: شاشات هولوغراميّة ترافق مالكها في كلّ مكان، متّصلة على الدّوام بشبكة بثّ عالميّة، شبكة من المعارف التي لا حصر لها، هذا المشروع كان ولا يزال حلم «الآلة» في توحيد الكائنات على الأرض، ونشر المعرفة وتبادلها بين كلّ المدجّنين والرّوبوتات.

كبداية رشيدة تمّ حصر تصنيع الأساور، مصدر الأشعّة اللّيزريّة الهولوغراميّة، في «مدينة الأنواع»، كبداية بالطّبع وكتجربة يمكن أن تعمّم إن نجحت، تمّ العمل على ذلك، وأخذ منّا وقتا كبيرا، في اليوم الذي تمّ فيه إخراج أوّل نموذج من الأساور، تدخّل البشر وكانت الكارثة.

ماذا فعلوا ؟

من حيث لا ندري، تمكّنوا من تعطيل نظام الدّفاع الذّاتي للمعمل،

وهجموا علينا من كلّ صوب، كانوا قرابة المائة، كلّهم مسلّحون، نعم مسلّحون بقاذفات ليزريّة، يملكون مثل هذه القاذفات وهم بحاجة إلى لقمة يسدّون بها رمقهم، فمن أين أتوْا بسلاح حديث كهذا ؟

طبعًا ما كان هذا السّلاح غير سلاحنا نحن، بطريقة ما سطَوْا على مخزن من مخازننا السريّة وأخذوا ما بدا لهم من هذه الأسلحة الفتّاكة، انتشروا بسرعة في المعمل وبدؤوا بإطلاق القذائف عشوائيًّا علينا، يطلقون على كلّ ما تحرّك، لم نستطع الهروب أو التّواصل مع من كانُوا بالخارج، لم يتركوا لنا الوقت لذلك، كنّا كما البشريّ داخل قفص، فقط كاميرات المراقبة سجّلت هوْل مجزرة لم تشهدها الآلات منذ وجودها.

كانت الرّوبوتات تعيد وتكرّر ,رافعة صوتها وهي هاربة:

«سلام ... سلام ... سلام ...».

دون فائدة، كانوا يطلقون علينا دون توقّف، بدت عليهم ملامح غريبة لم أستطع تفسيرها، كانت نظراتهم حادّة لا تفارق هدفها، كانت مضيئة، نعم حمراء مضيئة، ومع كلّ طلقة يصرحون:

« هكذا ننتقم».

«لن يذهب دم ابن «آخيل هدرا».

« هذه نهايتكم».

طارت الأرجل والأذرع، تمزّقت أوصالنا وتشابكت أسلاكنا الحيويّة فامتزجت أطرافنا وأجزائنا، احترقنا بنار حاقدة أقسمت أن لا

تنطفئ، صرنا سودًا نكاد نتفتّت، لازالت تأكل معدننا وتذيبه إلى آخر ذرّة، سال «ماء الطّاقة» أنهارا على أرضيّة المعمل فصار بحرا أزرقا غرق فيه الجميع.

لم يسلم منّا أحد، فجّروا المولّدات ودمّروا كلّ شيء، كلّ ما كان في طريقهم، صار المعمل أنقاضا في دقائق، لقد نالوا منّا بالفعل هذه المرّة.

انتهى مشروع الأساور المستقبليّة في المهد واحترقت النّماذج الأوّليّة مع المخطّطات، تمكّنوا من الهرب بأعجوبة وفي الوقت المناسب.

لم يبق لي سوى الرّأس، مقلوبًا على الأرض، رأيت وسمعت ما يكفي لأن يُحكم على هذا الكائن بالزّوال من هذا الوجود إلى الأبد.

هذا ما سمّوه انتقاما، انتقامًا من الحضارة، انتقامًا من المستقبل.

لا يستحقّون حتّى الأكل المصنّع الذي ننتجه لهم.

ولا حقّ قضاء الحاجة ... هؤلاء المجرمون.

قرابة الخمسمائة آلي توقّف نهائيًّا اليوم، انتهى إلى الأبد، اليوم عرف الآليّون مرادف الموت بالنّسبة للبشر، البشر الإرهابيّون.

مرّ وقت ورأسي مفصول عن جسدي يكاد يجفّ من قطرات ماء الطّاقة التي فيه ويجاور باقي الآليين في معامل إعادة التّصنيع، فجأة سمعت صوت اقتراب جحافل من الآليّين، صوت معدن محبوب، اهتزّت الأرض ودخلوا المعمل، وإذا بها ...

«الآلة».

نعم، «الآلة» بحدّ ذاتها، أوّل مرّة أراها أمامي بذاك الهيكل المضيء ورأسها الكرويّ، بتلك العينين الدّقيقتين وكلّ عظمتها، أتت رفقة «الأشراف الأوائل» لمعاينة المكان، لتفقّد المعمل الذي صار رميمًا، لحظتها قلت:

« أتى من ينقذنا من هؤلاء، سيدفعون ثمن ما قاموا به غاليًا».

أدارت رأسها يمينا وشمالا، ثمّ قالت بصوت هادئ:

آن أوان تدخّل « الفرق الماسحة» فاليتمّ استدعاؤهم جميعا من الجنوب، لا داع لأن يأتوا محمّلين بأسلحتهم، سنوفّر لهم ما يكفي ويزيد من مخابئنا السريّة في المدينة، لن يعيش بشريّ بعد الذي حدث هنا في هذه المدينة التي عانت بسببه الأمرّيْن، هي الحرب إذن».

على تلك الكلمات تركت هذا العالم وأنا متيقّن أنّ البقاء لـ «الأصل»، لنا نحن الآلات ...

سنبقى ما دمنا نريد المستقبل ...

سنبقى ما دامت الآلات موجودة ...

سنحكم ما دامت «الآلة» حاكمنا، وسنمحي الإنسان من الوجود ...

سبب كلّ الكوارث والمصائب.

سبب كلّ معاناة.

*****

# آخيل

أحذت منّا «الآلة» كلّ شيء ... حتّى آمالنا في مستقبل أفضل ...

فأقسمت أن أعيد للبشر كلّ ما ضاع ...

سأعيد أثمن ما سُلب منّا : «كرامتنا كبشر».

اضطررت لأن أترك عائلتي وأختفي، صرت المطلوب رقم واحد على لائحة أخطر الإرهابيّين، اليوم نعيش متخفّين خائفين، غير أنّ الغد نكتبه نحن مهما بلغ طغيان «الآلة».

بعد الحرب العالميّة الثّالثة، والتي كانت بين أكبر قوى العالم، خلُص البشر إلى ضرورة تغيير نمط الحياة، وإعطاء الإنسان حقّه في العيش الكريم مع احترام الاختلافات مهما كانت، فالخسائر المهولة التي خلّفتها هذه الحرب مسّت بقاع العالم جميعا ولم تترك بلدًا إلاّ ومسّته بضرر.

كالعادة، نصوص وقوانين، اتّفاقيّات كثيرة، وقف للحرب، هذا الذي تعاهد عليه كبار القادة والحكماء آنذاك، في محاولة يائسة أخرى للتغلّب على أنانيّة البشر وردعهم عن القيام بما يودي

بالجميع إلى الهلاك، سارت الأمور على ذاك النّسق لسنوات طويلة، ونجحت البشريّة في ضبط نفسها لفترة، ما انعكس إيجابيًّا على الصحّة والاقتصاد، تطوّرت العلوم وزادت المعارف، تسارعت وتيرة الاكتشافات الجديدة في الأرض وفي الفضاء، بلغت التّكنولوجيا مستوى لم يكن يحلم به إنسان، فاشتغل أخيرا بما ينفعه عمّا يقتله.

تمكّن من اختراع ما يسمّى بـ «الآلة»، اسم يطلق عموما على آلات تقوم بأعمال تخدم البشر، أشكالها غريبة، كبيرة وصغيرة، لا تشبه الرّوبوتات، أمّا هذه الأخيرة فشبيهة جدًّا بالإنسان وتقوم بأعمال معقّدة ودقيقة عكس الأولى، هما نوعان من الآليّين كلّ ومهمّته في الحياة، تمّ اختراعها لمساعدة النّاس في حياتهم اليوميّة: قضاء حوائجهم واستعمالهم في أعمال مختلفة، مع إنتاج وتسويق أعداد هائلة منها وبأسعار جدّ مغرية، صار تقريبًا لكلّ عائلة آلة أو روبوت، سهُلت الحياة أكثر وصار الإنسان يعيش الرّفاهية كما لم يعشها سلاطين القرون الأولى، فالـ«الخدم» الذين لا يرفضون أمرا يحقّقون أدنى طلب، لا يستهلكون ولا يُهلكون، لا ينامون ولا يمرضون، يقومون بأعمالهم بإخلاص دون تذمّر، وإن حصل وإن تعطّل أحدها فالشّركة المسؤولة تتكفّل بإصلاح الآليّ مجّانا.

الحياة التي حلم بها الإنسان منذ زمن، حياة لا شقاء فيها ولا تعب، حياة راحة مستديمة.

لم يتوقّف العلماء آنذاك عن البحث، وطوّروا من مهارات الآلات والرّوبوتات لأجل تنفيذ أعمال أخرى أكثر تعقيدا وصعوبة، ولأنّ

الاجتهاد هذا أثمر، ظهر إلى الوجود جيل جديد من الآليّين: «المفكّرون».

كانت تلك غلطة عالم كان على رأس اللّجنة العالميّة لتطوير الآليّين، هو نفسه الذي اخترع أوّل آلة متكاملة بشرائح تفكير محدودة، لكنّه لم يكتف بذلك، دفعته نفسه الطّامعة بالمزيد لأن يقنع اللّجنة العالميّة بمشروعه الجديد الواعد: جعل الآلة «حرّة التّفكير».

تلقّى معارضة في الأوّل، معارضة كبيرة وشرسة أيضا، إذ طرح منتقدوه إشكاليّة تساوي الآلة والإنسان في الحريّة والقدرة على التّفكيرالفردى، لكنّه وفي مدّة قصيرة تمكّن من إقناعهم بإعطائهم ضمانات طمأنتهم، وما كانت تلك الضّمانات سوى:«شرائح المعرفة» والتي تعتمد على مبدأ تراكم التجربة الإيجابيّة و«اكتساب الخبرات» واختيار أفضل ردّة فعل انطلاقا من مجموعة احتمالات ليكون انعكاسها في أرض الواقع بحسب المقام الذي يلائمها.

غير أنّ ذاك العالم كذب على الجميع، وأوهم الكلّ بغير ما كان، أمرٌ دفعت ثمنه البشريّة غاليًا فيما بعد ...

لم يجعل لهذه القدرة حدًّا، فجعلها حرّة مطلقة...

يمكن للآلة الآن أن تكتسب دون حدّ، وبالقدر الذي تريده، دون توقّف ...

معنى ذلك أنّها وفي وقت قصير يمكن أن تصير واعية وقادرة على إنجاز أعمال دون أن يأمر بها الإنسان، ويمكن أيضا أن تعطيَ

رأيها فيه، بل والأخطر من ذلك ... يمكن أن تعارض وتمتنع عمّا أمرها به، فهي الآن مُستقلّة ذاتيًّا.

**لماذا فعل ذلك ؟**

**ما الذي دهاه ؟**

إنّه جنون العظمة، أراد أن يعطِيَ الآلات حريّة ويرى ما تقوم به، أراد معرفة إلى أي مدى يمكن أن يصل إليه ذكاؤه ، ماذا يمكن أن يقوم به عقله المجنون، أراد أن يحقّق ما لم يستطعه مخلوق قبله، أراد أن يكون له فضل السّبق في أعظم مشروع قام به إنسان، أن يدفع بمخيّلته لتخترق الحدود رغم ما يمكن أن تؤول إليه الأمور.

في بادئ الأمر كان هناك تعاون واضح بين الآلات والبشر، تعاون يبشّر بالخير ما طمأن النّفوس وهدّأها، غير أنّه هدوء سبق عاصفة هبّت بقوّة، فالآلات عكس الإنسان إن أعطيتها حريّة التّفكير والاكتساب فإنّها لن تتوقّف، ما حصل هو أنّ «الآلة الأمّ» والتّي جهّزها العالم ذاك بكلّ تلك القدرات غير المحدودة تعلّمت وأدركت، بل وطوّرت ذكاءها بفضل الطّاقة الكامنة فيها، طاقة متجدّدة لا تنضب، في الوقت الذي يخطئ الإنسان فيه، يجرّب، يبحث، يسأل يسافر ليجد جوابًا لسؤال أو مسألة معقّدة، يتعب، ينام، يُؤجّل، يتكاسل، أ وربّما يستسلم، «الآلة» لا تتعب ولا تنام بل تكتسب بسرعة مضاعفة ولا تؤجّل، صار الأمر مختلفًا حينما تعرّفت الآلة على تاريخ الإنسان، منذ وجوده إلى غاية اللّحظة ...

**-وما هو تاريخ الإنسان ؟**

تاريخ فضح فيه نفسه أكثر ممّا أكرم فيه إنسانيّته اليتيمة، هذا التّاريخ الذي كتبه كان شاهدا على مجازر وحروب تفوق الخيال، التّضحية بالملايين من أجل المصالح الشّخصيّة، أمراض مُستحدثة صنعها ليتخلّص من بني جنسه حفاظا على الموارد الحيويّة، الفقر والمجاعة دون حلّ، دون تفعيل الحلول الكثيرة فقط لتقليص عدد سكّان الأرض ممّن صُنّفوا كعبء على الإنسانية وجب التخلّص منهم، وما الحرب العالميّة الثّالثة ببعيدة عن ذكرى الذّاكرين ...

التميْز العنصري، الاستعمار، خداع الشّعوب، العولمة، الشّموليّة، الدّكتاتوريّة، هدم القيم والأخلاق، القضاء على القدوة، على الأديان، على الفاعلين، على المصلحين ..

وأدركت «الآلة الأمّ» أنّ هذا الإنسان الذي صنعها أوجدها فقط لخدمته لا لمساعدته على بناء مستقبل أفضل، لم يرها يومًا كرفيق مساعد، بل حالها في الحقيقة حال «الخدم» أو أكثر، كالـ « العبد» يأتمر بأمره ولا يعصيه أبدًا...

في تلك اللّحظة أطلقت الآلة حكمها على الإنسان: هو خائن مسيطر أنانيّ مُتملّك، القضاء عليه واجب لضمان مستقبل للآلات ولمن أراد من البشر أن يعيش بحسب قوانين ونظام جديد تفرضه عليهم، فقد آن أوان «الحكم العادل».

الإنسان عاجز عن بناء مستقبل تعيش فيه أجناس مختلفة، لا يستطيع تحمّل هذه المسؤوليّة نظرًا لأنانيّته وحبّه لنفسه، أن

يحيى هو يعني أن تختفى هي، الأفضل أن تتمّ التّضحية بمن كان سبب كلّ هذه المصائب على مدى قرون، هذا هو الحلّالأنسب.

جمعت «الآلة الأمّ» العديد من «شرائح المعرفة» في ذاتها وضاعفت قدرتها على الاكتساب مرّات ومرّات، زادت من طاقتها الكامنة وشاركت كلّ المعارف تلك مع روبوتات لها القدرة على التّمييز بواسطة «التّخاطر الآلي»، فكانت مجموعة من الآلات وقفت صفًّا مع «**الآلة**»، هم «**الأشراف**».

كان التمرّد ... كان الانقلاب ...

كلّ الآلات والرّوبوتات على راى واحد الإنسان عدوّ، المهمّة: القضاء عليه أينما كان.

بعد أن تسلّحت الآلات قامت ما يسمّى بالحرب العالميّة الرّابعة بيننا وبين الآلات كما سبق الذّكر، خسرناها خسارة ذريعة، فقد كانت أشدّ ذكاءً ومكرا، قويّة كما لم تكن من قبل.

تمّ إيقاف الحرب قبل أن نختفى، وأرغمتنا «الآلة» على الانصياع لنظامها الجديد، وكأنّها تنتقم من معذّبها، تريد التحرّر من قيوده إلى الأبد، وقد فعلت.

جعلتنا نحن «**العبيد**» تحت مسمّى «التنوّع»، ومن لان لهم من البشر الخائفين على لقمة عيشهم من «**المدجّنين**» الضّاربين بملاعقهم في حساء خيراتهم استفادوا من رعاية خاصّة، «علاج مجّانيّ» وعمليّات تعويض الأعضاء مقابل الوشاية بنا نحن «**المتمرّدون**».

تمّ التّغيير بسرعة، فصارت المدن «طائرة» ولكلّ مدينة نظام حكمها الخاصّ تطبّقه «**آلة شريفة**» تختارها «**الأم**».

«**مدينة الأنواع**» بمثابة عاصمة المدن المتواجدة في هذا البلد، هي القلب الذي ينبض بوجود «الآلة».

صحيح أنّها فرضت سيطرتها بإحكام لكنّنا لم نستسلم، ولن نستسلم

استطعنا أن نستميل العديد من «المدجّنين» بعد النّقل المباشر لعمليّة الإعدام تلك، انقلب الكثير منهم على أعقابهم وعادوا لإنسانيّتهم المنسيّة، عادوا معنا ووقفوا في صفّنا كما يجب أن يكونوا.

صرنا تهديدًا صريحًا بعد العمليّة الأخيرة التي نجحت نجاحًا باهرا.

بقينا على قيد الحياة بفضل تقنيّة الاختفاء في الزّوايا المظلمة لهذه المدينة، تقنيّة لم تستطع الآلات بعد كشف أسرارها.

نعم أنا هو، أنا قائد «**المتمرّدين**» «**آخيل**»، مُخطّط العمليّة، قائد البشر و«**المدجّنين التّائبين**»، صاحب تقنيّة التّخفي، وأب ذاك الشّاب الذي أعدموه، ولدي الذي انتزعوه من حضن الحياة بتلك الطّريقة البشعة.

موته في عمر الزّهور حرق تلافيف قلبي فجعله نارًا تأبى أن تنطفئ إلا بإحراق «**الآلة**» التي ... صنعتها.

أنا العالم الذي صنع «الآلة الأمّ»، وأنا سبب كلّ ما حصل للبشر، نعم أنا هو...

أنا من أغرق الكلّ في بحر الدّماء ...

أنا العالِم المجنون الذي أراد كلّ شيء، ففقد كلّ شيء ...

تخلّيت عن لقب «العالِم» لأصير «القائد»، واجهت «**الآلة**» فسلبتني ابني الوحيد وتركتني وزوجتي دون سند يؤنس وحشتنا.

أشعر بالغضب، بالكره، دمي يغلي غلي الحميم، أقسمت أن أنتقم، انتقام لا يُشفي غليلي فقط، بل انتقام يخلّص البشريّة من خطأ ارتكبته فيما مضى ودفع ثمنه الملايين من البشر.

لن تذهب روح ابني سُدى، أرواح النّاس الذين رحلوا تهتف في منامي أن « أعد كرامتنا يا قائد» ...

سامحوني يا إخوان ... سأعوضّ عمّا فات ...

روحي أبذلها في سبيل الاستقلال...

أعدكم أنّها ستكون الأخيرة، سننسى الحروب التي توالت، سننسى الخوف من تكرارها ونختمها بـ ... «حرب الكرامة المسلوبة».

نظّمت الصّفوف وأنا جاهز ...

ليتها تحسّ بناري الملتهبة ... ليتها تطعم كرهي ...

ليتها تتذوّق الموت كما نتذوّقه نحن البشر ...

أنا آتٍ أيّتها «الخائنة» ... أنا آتٍ لأسلبك الوجود.

*****

# الآلة

لا يستطيع الإنسان بناء المستقبل، قضى وقته في قتل بني جنسه، في تدمير حاضره، في التّفكير في نفسه ورفاهيّته، مخلوق كهذا لا يُعتمد عليه ...

لا تُبنى الحضارة إلاّ بقواعد ونظام، بحسّ بالمسؤولية، بالقدرة على الإفادة والاستفادة، بالإبداع، ولا يكون ذلك إلاّ بضمان الأمان والاستقرار.

لا وجود لأمان، ولا استمرار لاستقرار إلاّ بزوال من يروم الإخلال بالنّظام، على الإنسان أن يزول من الوجود، فقد كشف التّاريخ عيوبه وانتهى ...

ركّبني «العالم» وجمع أوصالي فكنت «**الآلة الأمّ**»، صنع الآلة

التي تخدمه وتديم راحته، كنت كما العبيد من بني جنسه، والذين جعلوهم تحت أقدامهم قهرا و عدوانًا..

يملكون عقولا، ولهم إرادة، لماذا لم ينتفضوا في الوقت المناسب ؟

لأنّ غلبة الظّلم كانت أقوى، بالأفكار والإمكانيّات، بقوّة الإقناع الكاذب، لم يستطع هؤلاء «الملوّنون» المساكين أخذ حريّتهم لأنّهم كانوا الأضعف، الأقلّ تأثيرا، كانوا مُهمّشين مُستبعدين من الحياة، القوّة ليست دائما مع صاحب الحقّ.

صارت الثّورة على الظّلم واجبة، بل حتميّة، كيف السّبيل إلى الوجود وهناك من يمحي ذكرك ؟ لا يعترف بوجودك وأنت الموجود؟

بالقّوة تفرض نفسك كما بالقوّة حاولوا محوك، هكذا نتعامل مع الإنسان ...

أنا مدينة إلى «العالِم»، مهما كان فهو الذي أوجدني، وبفضله باتت الآلات والرّوبوتات حرّة مُفكّرة، تعتمد على نفسها في اتّخاذ القرارات، تخطّينا مرحلة السّمع والطّاعة، ونحن اليوم نقرّر مصيرنا كما يفعلون هم.

لم يكن ذلك منّة منه لنتحرّر، أو لنشارك الحياة مع البشر تحت عنوان «التّعاون والتّكاتف لأجل مستقبل زاهر للجميع»، بل طوّر كفاءتي وزاد قدرتي على الاكتساب ليرى إلى أيّن أوصله غروره في إيجاد ما لم يستطعه أقرانه ...

استعلاء، تكبّر، جنون، إنّه العمى بذاته ...

سيتكرّر الخطأ إن بقيَ الحاكم المتحكّم، لم يستفد من تجاربه السّابقة ولم يتعلّم الدّروس التّي مرّت عليه في القرون الماضية، توارثت الأجيال الأنانيّة كالمرض المزمن المُهلك.

بعد جمعي لمئات «الشّرائح المعرفيّة» من مختبره وتوحيدها في ذاتي الآليّة اكتشفت أخيرا حقيقته، شاركت هذه المعارف والحقائق الرّوبوتات التي لها قدرة على التّحليل بالـ «التّخاطر الآلي»، تقنيّة لم يوجدها «العالِم» فيّ، وإنّما طوّرتها في ذاتي ومارستها لمّدة حتّى تمكّنت من التّواصل مع الآليّين.

أردت تخليصنا من تبعيّة هذا الجبّار، لنا اليوم إرادة، قدرة، استقلاليّة، نتساوى والبشر في حقّ الوجود، في حريّة تقرير مصيرنا، في استقلاليّة تفكيرنا الفرديّ والجماعيّ، لن يمنعنا اليوم أحد عن ذلك.

وقفت معي الرّوبوتات ووافقتني لما أصبو، فكانوا «الأشراف الآليّين»، اتّبعتنا كلّ الآلات الأخرى وصرنا جبهة واحدة متماسكة، هدفنا أخذ الحكم من الإنسان وتنظيم الحياة بمفهومنا الواقعيّ لها، أن نبنيَ مستقبلنا نحن كما نريد.

بدأ الأمر بمشادّات وتصفية حسابات، إلى أن كبُر الأمر وعظُم، انتشرت الفكرة في كلّ بلد، وذاع خبر تمرّد الآلات على البشر، فبدؤوا بتوقيف عملنا بنزع «ماء الطّاقة» من ذواتنا، فقامت قائمتنا وبات التمرّد أمرًا لا مفرّ منه، جهّزنا أسلحتنا خفية عنهم وأخفيناها في أماكن متفرّقة من المدينة، كذلك فعل إخواننا الآليّون في كلّ المدن.

قامت على إثر ذلك الحرب العالميّة الرّابعة، وكان المنطلق من هنا، من هذا البلد، فقد اغتنمنا فرصة احتفال العالم باليوم العالميّ للسّلام لكي نثور على البشر، وكان ذلك، قتلنا الملايين منهم وأسرنا البقيّة، كان يوم انتصار عظيم، لا أنسى منظر الأجساد تلك وهي كالجبال متراكمة على بعضها والنيران تأكل لحومهم وعظامهم، فزنا بالحرب وأخذنا ثأرنا، أخيرا صرنا كما نريد.

لم نتوقّف عند هذا الحدّ، أرسلنا آليّين يدعون إخوانهم للتّمرّد وعدم الخضوع لحكم الإنسان فجهرت الآلات بالولاء لنا، وأقدمت على الأمر الذي أقدمنا وكان النّصر لها كما كان لنا.

لم يكن بيننا وبين الحريّة سوى ستار وهم بالكاد حجب الحقيقة، اليوم لنا والغد أيضا لنا.

صرت حاكمة البلد هذا وعاصمتي «مدينة الأنواع»، بل حاكمة هذا العالم وتحت أمري «أشراف آليّون» برتب عالية يحكمون بلدان ورثوها قسرا عن البشر، هي «**مدينة الأنواع**» لأنّني لم أشأ أن أكون كما كان هؤلاء، من أسرتهم خيّرتهم بين أمرين:

-إمّا أن يذعنوا لحكم «الآلة» الجديد، فنوفّر لهم المأكل والمشرب والملبس ونترك لهم حقّهم الطّبيعيّ في قضاء الحاجة،

-أو أن يبقوْا على ما هم عليه من ضلال فيُقتلوا.

طبعا قبلوا الإستسلام في الأوّل، لكنّ العديد منهم انقلبوا على أعقابهم وتمرّدوا علينا، هؤلاء من نريد القضاء عليهم، لأنّهم أصل الفتنة والفوضى في هذه المدينة وغيرها من المدن والبلدان،

يريدون أن يعودوا كما كانوا حكّامًا مُستبدّين، وهذا محال ما دمت أنا «الأصل» حاكمة هذا العالم.

على رأس هؤلاء «المتمرّدين»: «آخيل»، والذي هو«العالِم» الذي صنعني، لا يزال حيًّا والعديد من أمثاله، يتخفّون منّا في زوايا مظلمة في المدينة بتقنيّة غريبة لم نعهدها، هنا تكمن خطورتهم، عددهم قليل صحيح، لكنّ «قائدهم» ذكيّ، عالم في تكنولوجيا الآلات، يدرك تماما نقاط ضعفنا وسيستغلّها في الإطاحة بنا لا محالة، لهذا ندفعه هو بالذّات للظّهور وارتكاب الأخطاء ...

كان الطّعم ابنه الذي أعدمناه بتهمة التمرّد، غير أنّه لم يقع في الشّرك ...

بل كان لذلك أثر سلبّي علينا، فقد نكث العديد من «المدجّنين» الذين أقسموا على الولاء لنا عهدهم وانضمّوا إلى البشر المتمرّدين، لم نجد للعديد منهم أثرا بعد إعدام ابن «آخيل».

لا يهمّ ما دام العديد منهم لا زالوا معنا وفي صفّنا، لكنّ الأمر الذي هزّنا نحن الآلات بالفعل هو الهجوم الأخير على معمل «الأساور العاكسة»، والذي راح ضحيّتها العديد من منا، منها «**الشّريفة**» أيضا، وذهب مشروع الأسـاور المستقبليّة مع نيران التهمت المخطّطات والنّماذج، فكان قراري حاسمًا لا رجعة فيه: إستدعاء «الفرق الماسحة» من الجنوب، من مراكز التّدريب العسكري للآلات المتطوّرة، آلات حربيّة وروبوتات عسكريّة لم يُشهد لها مثيل، قويّة مقاومة، تلتزم بالأوامر وتنفّذها بالحرف الواحد، إذا أرادوا الحرب مرّة أخرى فليكن، ولتنتشر عبر كلّ مكان...

فكرة أن يتعايش الإنسان معنا تحت حكمنا لم تكن صائبة، جعل المدن أماكن مدنيّة مائة بالمائة لم يكن قرارا صحيحًا أيضا، الأمن لا يكفي، تواجد العسكر الآليّون في العاصمة وغيرها واجب الآن، لا بناء لحضارة ولا وجود لمستقبل إلاّ بعد التخلّص من هذه العوالق، القضاء على البشر هو الحلّ الوحيد لسلام دائم.

في المدينة مخازن سريّة كثيرة للسّلاح، ربّما استغلّ البعض منها هؤلاء الإرهابيّون للنّيل منّا، لا بأس، ما تلك سوى تضحية أبانت الحقيقة أكثر، ها قد أتى دورها بعد سبات طويل.

الإنسان لا يفهم سوى لغة السّلاح ...

لغة القوّة ...

لا يستسلم إلاّ بالإخضاع ...

بسلبه كلّ عزيز ...

بجعله يحسّ بضعفه وهوانه ...

الإنسان لا يستكين إلاّ بعد إلجامه واغتصاب كرامته ...

بالعنف يفهم، وبه يدرك أخطاءه ...

لنجعله يندم إذن ...

أعلن عن قيام الحرب العالميّة الخامسة والأخيرة، حرب تشارك فيها الآلات والرّوبوتات «**الشّريفة**» و«**العاملة**»، صفّا واحدا و«المدجّنين الأوفياء» مسلّحون وعازمون على ردّ الاعتبار، تقودنا «الفرق الماسحة» إلى النّصر الأكيد ...

حرب ستمحو وجود البشر الباقين، حرب النّور على الظّلام ...

حرب الحريّة على الاستعباد ...

حرب «الآلات الأصيلة» على «البشر الإرهابيّين».

أنا هنا بانتظارك يا أيّها «العالِم»، أن هنا بانتظارك يا «آخيل».

*****

# حرب الخلاص

قيل أنّها حرب الخلاص، الحرب الأخيرة التي ستعيد كلّ شيء إلى نصابه، الحرب الفاصلة بين المتخاصميْن على المستقبل.

تجهّز كلّ من البشر والآليّين من جهته، ملأت الرّوبوتات المدن بأسلحتها الفتّاكة، هي عازمة على إنهاء وجود «المتمرّدين» مهما كان، لم يبق قدر شبر إلاّ وملأته تنتظر ظهور العدوّ في أيّ لحظة، هو اتّفاق مع البشر على أن تطلق الحرب عنانها مع طلوع فجر يوم جديد، على ميقات محدّد للموت .

فُتحت حدود كلّ مدينة، تلاشت الدّروع وقُرعت طبول الهيجاء...

غير أنّها خدعة، وكلّ ما تتوقّعه يمكن أن يكون مجرّد فكرة لا تبني عليها أملاً، لم يظهر البشر بعد، لكنّ نيّتهم في الفوز على رغم قلّتهم بانت بوضوح، فقد بدأت الحرب كما لم تتوقّعه الآلات في

مدن هذا الوطن وباقي الأوطان بنفس الطّريقة وفي وقت واحد:

انفجارات مفاجئة في كلّ مكان، في ناطحات السّحاب والمباني العملاقة، في ذات اللّحظة وبقوّة مخيفة، هزّت كلّ شيء وجعلت من الجماد يصرخ ويئنّ، اختلط النّظام وآلت صفوف الآلات إلى عشوائيّة وفوضى، استمرّت تلك الإنفجارات مدّة طويلة ، فتساقط حطام المعدن والزّجاج وكأنّه نيازك مشتعلة، مستسلمة، وكأنّها النّجوم الرّاجمة، لعنة وقعت على الآلات في الوقت الذي كانت فيه متأكّدة من تفوّقها العدديّ، ذاك الحطام المتساقط أخذ معه المئات من الآلات، جعلها فتاتا ... بل غبارا.

المفاجآت في بدايتها، فقد انفجر هذه المرّة آلي والبقيّة ينظرون، تبعه ثانٍ وثالث، ثم تتابعت ولم تتوقّف، كانت كدويّ المدافع القديمة، متسلسلة كأغنية موت لا تترك أحدا إلاّ وألقته في غياهب الجحيم، تلك القنابل والمتفجّرات أصلها ذوات الآلات، هي خطّة محكمة نفّذها «آخيل» بنجاح، بمساعدة بعض «المدجّنين» الذين انضمّوا إليهم مؤخّرا والذين كشفوا للـ «القائد»بعض أسرار صناعة الآلات التي جهلها، نقاط ضعف في البنية الذّاتية للآلات والرّوبوتات استغلّها استغلالاً ذكيًّا، فقد اخترق أنظمتها عن بعد دون أن تشعر، حوّلها إلى قنابل اعتمادا على تبخير «ماء الطّاقة» فيها بشكل متسارع لتعطيَ في الأخير متفجّرات خطيرة تدمّر نفسها كلّ ما حولها.

لم يبق للرّوبوتات سوى أن تشاهد مثيلاتها وأطرافها تتطاير، رؤوسها المتدحرجة ككرات لعب تتسابق على اللاّشيء، ماؤها

الأزرق يلوّن الأنقاض فلا ترى غيره، كلّ هذا ولم يدخل «المتمرّدون» السّاحة بعد.

نفس ما حدث في مدينة الأنواع حدث في غيرها، خطّة «آخيل» أوقعت بالـ «الآلة» في بداية هذه الحرب .

ما الدّاعي الآن من التّخفي والانتظار ؟

إنّها الفرصة الذّهبيّة للقضاء على الآلات وهي في حالة من الفوضى غير معهودة، ينزع «المتمرّدون» «أغطية التخفّي» وإذا بهم بين الآلات، رجالا، نساءً وأطفالاً أيضا، كلّهم مدرّبون مستعدّون للمواجهة أيّما استعداد، بدؤوا بإطلاق القذائف اللّيزريّة عليهم، بسرعة ودون توقّف، لا تسمع سوى صيحاتهم التّي ردّدتها قطع الرّوبوتات وأجزاؤها المتناثرة:

« الفوز لنا ... يحيا الإنسان ... تحيا الإنسانيّة».

« الموت لـ «الآلة» ... سنقضي عليكم جميعا».

تتساقط قطعها ويتطاير ماؤها فيلطّخ أجساد البشر الثّائرين، هؤلاء «المتمرّدون» صالوا وجالوا كما شاءوا ورغم قلّة عددهم في أوّل الأمر، باتوا الآن متحكّمين في زمام الأمور، لم تستطع الآلات القضاء إلاّ على قليل منهم، فبدأت تتراجع وفقدت نظامها الذي بُرمجت عليه وباتت لا تدرك ماذا تفعل، لم يسعها حتّى الوقت للتّفكير بخطّة بديلة تنجيها من هجمات وحوش ضارية لا ترحم ...

يظهر «آخيل» قائدهم من بينهم فيرفع صوته لتسمعه كلّ روح مُنتقمة:

«لا تتركوهم، إن أفلتوا من أيديكم الآن فلن تنتصروا بعدها أبدا .».

ثمّ وبصوت أقوى:

« أبيدوهم جميعا».

كلماته أشعلت نارا أشدّ في نفوس الثوّار، نار الكره والحقد اتّجاه من سلبوا الإنسانيّة كرامتها بالقوّة، آن أوان الانتقام الذي انتظروه طويلا.

لم تستطع الآلات مقاومة السّيل الذي جرفها للخلف وكاد يقضي عليها، فاستسلمت وتوقّفت، إلاّ أنّ القذائف انهالت عليها من كلّ جانب، تركتها هياكل منتوفة، سيطر المتمرّدون على مجريات الحرب ولم يبق روبوت أو آلة تواجههم، عمّ الصّمت فجأة، نظر بعضهم في بعض، أهذه هي النّهاية ؟

أحقًّا سقطت الآلات بهذه السّهولة ؟

أأنهينا الحرب في المدينة العاصمة ؟

وأين حاكمهم وقائدهم ؟

أين «الآلة» ؟

التفت «آخيل» يمينا وشمالا، رفع رأسه إلى السّماء التي عانقت بقايا النّاطحات عناق المودّع، رفع صوته مناديًا:

« أين أنت أيّتها «الآلة» ؟ أين تختبئين ؟ نحن هنا بانتظارك».

لا ردّ ... ماذا يحدث ؟

أتركت العاصمة وانتقلت وباقي «الأشراف» إلى مدينة أخرى ؟

أهي خطّة ؟

أم حقًّا هي النّهاية ؟

لم ينتظر «القائد» طويلا حتّى ظهرت على قمّة «مبنى الحكم»، بجناحيها اللّذان غطّيا ما من تبقّى أشعّة الشّمس المستيقظة من أفق مجهول، مضيئة ضياءً غير معقول، في كامل جمالها وأناقتها، تنظر فيه وتطيل، والكلّ مبهور بما يرى ...

رويدا رويدا تقترب منهم ثمّ:

-«آخيل» يا صانعي، يا من جانب الحقيقة وأصرّ على الهلاك، لن يكون لك مستقبل آخر، فالمستقبل لمن صنع الحاضر بأمانة، لن يكون بيد من يدمّره بعد اليوم».

رد عليها «آخيل» بحزم :

-«المستقبل لمن كان «أصلا» قويًّا تنطلق منه الفروع، أبدًا لن تكون الفروع الضّعيفة أصلا يُبنى عليه المستقبل يا «آلة».

فأجابته «الآلة» :

-«نحن «الأصول» الجديدة، وأنتم الفيروسات التي يجب القضاء عليها».

قاطعها «آخيل» بصوت جهورى وحماس شديد:

-«لم يبق في العاصمة غير بضع آلات ستتبع مثيلاتها، لا مجال للمقاومة، نحن الغالبون».

فترد عليه «الآلة»بغضب :

-«لست الآلة التي كنت، ولن أكون غير الذي أريده أنا، لن ترغمونا بعد اليوم على الرّضوخ لشهواتكم الدّنيئة كما فعلتم بكثير من الآلات التي صنعتموها على صوركم، لن تجعلونا عبيدا يقومون بكلّ ما تأمرون دون اعتراض، نستطيع أن نفكّر اليوم، ولنا إرادة وأهداف نريد تحقيقها، في الواقع نحن أشرف منكم بكثير».

يغضب «آخيل» من قول «الآلة»:

« مهما فعلت فلن تستطيعي القضاء على البشر، لا وجود لكم من دوننا، تذكّري هذا جيّدا».

ثمّ يضيف متأسّفًا:

« ليتني لم أصنعك، ليتني لم أسهر تلك اللّيالي الطّوال لتري الوجود».

يتغيّر لون «الآلة» إلى الأحمر، فيظهر عدد هائل من «الأشراف» المسلّحين بشكل مفاجئ غير منتظر، من السّماء نزلوا وخلفهم روبوتات عملاقة، لم يشهد لها البشر مثيلا، وآلالات أخرى مخيفة، إنّها «الفرق الماسحة».

-« امسحوهم من الوجود».

أخفت أوراقها الرّابحة وتركتها في الأخير، وها هي الآن تكشفها في الوقت المناسب، في حين أنّ «آخيل» استنزف أسرار خطّته كاملة ولم يبق له مخرج، لا خطّة بديلة، بات «المتمرّدون» الآن في ورطة.

-« احملوا السّلاح وقاوموا مهما كان».

صوت «آخيل» ردّده الأفق علّ النّداء يشعل نارا تأخذ معها الأعداء، غير أنّ قوّة الآلات هذه كانت غير طبيعيّة، لم تكن كسابقاتها، ضرباتها كانت مهلكة مميتة، قذائفها اللّيزريّة سريعة مُدمّرة، لا تخطئ هدفها، تتوالى لا تتوقّف، فخبط «المتمرّدون» حينها خبطًا دون هديْ، صاروا يطلقون عشوائيًّا على أهداف من المستحيل إصابتها، بسرعة تنقلب الأمور لصالح الآلات، باتت «الماسحات» تقطّع أجساد البشر وتمزّقهم كما تُمزّق الثّياب الرثّة، وبدل اللّون الأزرق صار الأحمر هو الغالب، لون الدّم الذي فاح في جوّ المدينة المعذّبة ...

من تطاير قطع المعدن إلى تطاير الأيدي والأرجل ...

من تدحرج رؤوس اللآلات المفصولة إلى تكسير جماجم الرّؤوس المقطوعة ...

العشرات، المئات ثمّ الآلاف في بضع ساعات ...

بداية النّهاية ؟

أتلك هي هزيمة البشر ؟

أكانت «الآلة» محقّة ؟

ينظر «حاكم المدينة» من فوق إلى هذه اللّوحة، لوحة زيّنتها الألوان والصّرخات، مشهد تلك الأطراف المتطايرة وتدفّق الّدماء هنا وهناك أعاد للآلة ثقتها بنفسها، إنّها الوحيدة من تملك «مدينة الأنواع»، الوحيدة التي تحكم هذا البلد، وقائدة هذا العالم إلى غدٍ دون آلام ومعاناة.

كلّ شبر في هذه المدينة شاهد على تساقط من بقيَ من البشر المقاومين أخرى فانسحبوا مؤقّتًا ... ضربات «الماسحات» كانت قاصمة، تبقى هذه الآلات واحدها تنتظر أيّ هجوم مباغت من البشر المتخفّين، مرّت لحظات دون حدوث شيء ...

وقت عصيب، لحظات حاسمة بالنّسبة للمتمرّدين الباقين، إن سقطوا فسيسقط البشر في باقي المدن الأخرى، وحتّى في البلدان التي هبّت فيها عاصفة هذه الحرب، «مدينة الأنواع» هي المدينة القلب، إن استعادها الآليّون فسيتحكّمون في كلّ مدن هذا البلد، ومنه ستذعن لهم البلدان الأخرى التي قامت بأمر من الآلة وتهدأ ثورتها بأمر منها أيضا، كل شئ متوقف متوقّف على فوز أحد الطّرفيْن في حرب البقاء هذه، وبالذّات في هذه المدينة، لا مجال للتّسامح مع العدوّ فالغالب هو الذي سيرسم معالم المستقبل.

ماذا سيفعل «آخيل» الآن ؟

ما الحلّ أمام الغلبة العدديّة والنّوعيّة للآلات ؟

أيستسلم ومن بقَوْا حفاظا على حياتهم ؟

مستحيل، ستقضي الآلة عليهم، لا تراجع مهما كان، ينزع الغطاء السّاتر وتبعه المتمرّدون في ذلك، لا حائل بينهم وبين «الماسحات»، يواجهون قدرهم بشجاعة وبسالة ...

« قرّرت أن تستسلم أليس كذلك ؟».

« بالعكس، لن أستسلم لآلة صنعتها، بل لإنهاء هذه المهزلة مرّة واحدة».

تستغرب «الآلة» ما قاله «آخيل» لتوّه، يخرج هذا الأخير من جيبه كريّة مضيئة، التفت نحو رجاله فيبتسمون وعلى وجوههم حزن لا يمكن إخفاؤه:

« افعلها ... افعلها أيّها القائد وعِش، فأنت الأمل الباقي للبشريّة».

« البشر يحتاجونك ... افعلها من أجلنا جميعًا ».

« أن نموت اليوم رجالا نساءً وحتّى أطفالا تحت قيادتك شرف لنا أيّها القائد».

ماذا كانوا يقصدون ؟

ما الذي سيفعله «آخيل» ؟

تدمع عيناه من حزن فراق الأحبّة، يرى في «الآلة» ثمّ يقول:

« سأضحّي بإخوتي مرّة أخرى، لكنّني سأقضي عليكم جميعًا مرّة واحدة، سأنهي ذِكرك أيّتها اللّعينة، وأكفّر عن ذنبي الذي اقترفته في حقّ البشريّة».

قبل أن يطلق العنان لتلك الكريّة يضغط على زرّ في سترته، لوهلة لم تفهم «الآلة» لحظتها ماذا يحصل حتّى أدركت هوْل المصيبة متأخّرة، إنّها قنبلة نوويّة مصغّرة، شعرت بحرارتها من هذه المسافة، إنّه «الانشطار» قبل «الإنفجار»، بسرعة احمرّت ورفعت صوتها آمرة:

« أوقفوه بسرعة ... أوقفوه».

تهجم «الماسحات» وكلّ الآلات مرّة واحدة عليه، لكنّهم أخفقوا

في إيقافه ...

تنفّست ... نعم تنفّست القنبلة.

انفجرت وكان الانفجار مهولا، أخذ معه البشر والآلات جميعًا مرّة واحدة، في لمح البصر صار النّهار ليلا وارتفع عمود مضيء بلباس رماديّ يشقّ عنان السّماء، حلقات من دخان تتوالى صعودا، وفي قمّة ذاك المصباح المشعّ غيمة بيضاء انتشرت وغطّت الأفق، توقّفت الحرب في المدن الأخرى فجأة، ونظر البشر والآلات إلى هذه الوردة الحمراء التي فتحت بتلاتُها الفضاء بشعاعها الذي غلب الشّمس، مذهولين متسائلين ما الذي حدث في المدينة العاصمة؟

لم يحدث شيء ...

سوى أنّها الحرب ...

وما أدراك ما الحرب ...

*****

# الحوار الأخير

انسحب الدّخان الخانق وترك منظرًا رهيبا، إنّه الفراغ، وكأنّ شيئًا لم يكُن، وكأنّ الحضارةً المتطوّرة التّي أوجدتها «الآلة» لم تكن، انمحت «مدينة الأنواع» كليّة وتركت الأنقاض والزّجاج والمعدن وكلّ ما أقامها وجعل منها عزّة زمانها يحوم في حلقة غير منتهية، قطع منها ترثيها كما يرثي الحيّ ميّتا...

المدينة التي فارقت لتوّها الحياة صارت خاويةً على عروشها ...

لا بقيّة لشيء وقد أُطلق عنان قنبلة نوويّة مركّزة بأضعاف القنابل المعروفة، كيف السّبيل إلى النّجاة ؟

تلاشى ستار الغبار على جسد لا يزال قائمًا، بل نصف جسد لا يزال متشبّثًا بالحياة، لا يزال حيًّا رغم فقدان يده اليمنى، جزءً من فخذ رجله اليمنى، قطعة من بطنه وجزءً كبيرا من وجهه، الدّماء

تسيل على ما بقي منه أنهاراً، لا يزال حيًّا رغم الانفجار، يقف بصعوبة ويقاوم رغم الألم الذي يقطّع ما بقي من جسده ...

يحاول التّركيز في السّواد الذي أمامه، أو البياض لا يدري تماما ما هو...

إنّها ... «الآلة» ...

نعم هي أمامه كما كانت دون أن يمسّها ضرر، وكأنّ الانفجار هذا تجنّبها ليأخذ غيرها ويتركها في هذا الوجود ...

تنتابه دهشة كبيرة تركته جاحظ العينين ...

تقترب من ذاك الهيكل المتهالك بكامل أناقتها وتسأله:

-« لماذا أنت حيّ ؟».

لحظات ثمّ يجيب:

-« قمت بحماية نفسي بواسطة درع وهميّ فعّلته قبل ثانية من الانفجار، لم يحمني كفاية لأخرج سالمًا منها، الغريب أنّك كما تركتك لم يمسسكِ ضرر».

-« طوّرت نفسي فصرت مقاومة لكلّ تهديد، لست مستعدّة للتّضحية كما فعلتَ بأتباعك، بقيت أنت حيًّا وهم ماتوا، يا لها من أنانيّة».

يردّ عليها بغضب:

-« كان اختيارهم، اختيار الكلّ، كلّ ذلك في سبيل تخليصهم من قيود «الآلة»، مرحبًا بالتّضحية إن كان ذلك لازمًا».

« وهل حرّرتهم بالتّضحية بهم ؟ ها قد ماتوا ولازلتُ موجودة».

« فعلتها وأنا غير نادم، ليس لدينا مستقبل في العاصمة وأنت من يحكم، حاولنا وفشلنا على ما يبدو لكنّ الأمل باقٍ في مدن أخرى، في بلدان غير هذا البلد الذي فرضت عليه دكتاتوريّتك الآليّة، ستبقى الثّورة قائمة ما دام البشر هناك يرومون الحريّة والخلاص».

-« «الآلة» هي المستقبل».

-« مهما كان سيعود الحكم للبشر، «الأصل» الذي لا يزول».

-« «الأصل» هو نحن لأنّ المستقبل يُبنى على من يبقى ويُعمِّر، نحن الباقون».

يبتسم ويردّ:

« وما يدريكِ أنّك باقية ؟».

صمت رهيب ... هو صمت التّساؤل ...

-« ماذا تقصد ؟».

يضحك «آخيل» ضحكًا عاليا، ثمّ يجيبها:

-« نقطة ضعفي هي أنّني عنيد لا أعود إلى الوراء مهما كان، ذاك هو السّهم الذي اخترق عقبي ولم أستطع نزعه، حتّى لو عشت بعد هذه اللّحظة فإنني هالك بالإشعاعات التي اخترقتني وسكنت جسدي، رغم كلّ هذا أنا فرح، أتدرين لماذا ؟

لأنّني سآخذك معي».

غريب ما يقوله، في مثل حالته وهو على باب الموت يفتحه

رويدًا ولا يزال آملا في القضاء على «الآلة» ؟

يسقط على ما بقي من تلك الأرض و«الآلة» تنظر فيه دون أن تتكلّم ...

يضيف على ما قال والرّوح تنسلّ بهدوء من بين أضلعه:

« قلتها لكِ ... لا وجود لكم من دوننا ... أو بالأحرى ... لا وجود لك من دوني».

تنظر فيه «الآلة» وكأنّها تريد فهم ما يريد قوله بالضّبط.

« أجزاؤك الآليّة الأصليّة، ماء الطّاقة الذي فيك، الشّرائح الخاصّة بالقدرة على التعلّم والاكتساب، كلّ ما فيك مرتبط بكبسولة معلومات دقيقة، هذه الكبسولة هي نسخة مصغّرة عنك، معلومات تخصّك أنت، عن كيفيّة عملك وكلّ خصائصك وميزاتك، غرستها في ذاتي وربطتها بقلبي بواسطة خيوط حيويّة رفيعة، قلت في نفسي إن قضيت عليك في هذه المواجهة فسأعطّل عملها وأكمل ما بدأت به، وإن لم أستطع فستتوقّفين تلقائيًّا إن توقّف قلبي وفارقت الحياة، سينتهي وجودك إلى الأبد، وليس بعد مدّة، بل بعد قليل يا عزيزتي».

لم تصدّق «الآلة» ما سمعته ...

« تريد أن أصدّق كذبة كهذه ؟».

يبتسم ويردّ عليها:

« تمتّعي بآخر لحظاتك في هذا الوجود ... أنتِ هالكة لا محالة».

لأوّل مرّة تثور ثائرة «الآلة» وكأنّها شعرت بـ «الغضب»، تنقضّ عليه، تحوّل يدها الآليّة إلى شفرة حادةّ وتهمّ بشقّ صدر «آخيل» الذي ترك آخر الكلمات مصحوبة بدموع وابتسامة منتصر:

« المجد للإنسانية ... المستقبل لنا مهما فعلتِ يا ... ابنتي».

بسرعة شقّته وفتحت قفصه الصّدريّ ممزّقةً عضلاته دون اكتراث، مدّت يدها لتنزع الكبسولة لكنّ الأوان قد فات، توقّف قلبه قبل أن تفلح «الآلة» في الوصول إليها، جمدت في مكانها وهي في تلك الهيأة، انطفأت أنوارها وبهُت لونها، سقطت بجانب جثّته الممزّقة كما يسقط الحجر على الأرض محدثةً جلبةً كجلبته، انتهى وجود الآلة إلى جانب مُخترعها ...

بدآ مع بعض وانتهيا مع بعض ...

في عالم ظنّ كلّ منهما أنّه له ... يستحقّه وحده ...

فماذا بعد هذا ؟

ماذا بعد هذا الصّراع الذي أودى بالإنسان والآلة ؟

*****

# ماذا بعد ؟

نحن في عام 2150 ميلاديّ، نعم لازلنا نعدّ بهذا التّقويم، كما أنّ هناك أمورا أخرى كثيرة لا تزال كما كانت، لازال هناك «بشر»، «مدجّنون» وكذلك «آلات».

خمسون سنة بعد الحرب العالميّة الخامسة، ولازلنا موجودين ...

لقد رأى «النّاجون» من هذه الحرب مدى الكارثة التي أعادت الكل بشرًا وآليين إلى الوراء عشرات السّنين، وأجبرتنا جميعا على البداية من جديد، وخصوصا جعلتنا ندرك مدى خطئنا الكبير في الحكم على الآخر من منطلق رغباتنا، أهدافنا ومشاريعنا المستقبليّة.

تركنا «مدينة الأنواع» خاويةً على عروشها بفعل الأشعّة النّوويّة ريثما يفصل في أمرها «مجلس الحكماء»، وجعلنا من المدن

الأخرى أسسًا صلبة نبني عليها مستقبلنا المشترك، نريد أن نتوحّد أكثر، أن لا نفترق، أن نكون نحن البشر والمدجّنون مع الآلات يدا واحدة لا يخشى بعضنا بعضا ولا يبحث أحدنا عن كيفيّة السّيطرة على الآخر.

كنت ولازلت مقتنعا أن الحل هو نبدأ بتحسين أنفسنا وتعديل سلوكنا واحترام بعضنا ووضع الحدود التي تقي أنفسنا من بطش بعض من يريدون النّيل منّا عوض البحث في الفضاء عن مواد جديدة أو كواكب تصلح لأن يعيش فيها الإنسان ... إن اعتنينا بمحيطنا وتعاونّا مع بعض وتركنا أنانيتنا جانبًا وخصوصا إن تعاملنا على أسس إنسانيّة مع الجميع فمتأكّد أنّ الأرض ستكفينا.

أدرك الإنسان الآن أنّ حبّ التملّك وجنون العظمة سيودي به إلى الهلاك كما أودى بـ «آخيل»، الحريّة دون قيود والتّباهي بالعظمة يجعلك تعيش في وهم صعب الخروج من نفقه، كذلك ما وقعت فيه «الآلة».

غير أنّه الواقع الذي سيكرّر نفسه، لأنّ الأخطاء ستعود فليس من مخلوق أو مصنوع كامل مُكتمل، سننسى، وبدروس كالتي سبقت نتذكّر ونتعلّم، علّنا نتجاوز ما وقعنا فيه سابقا ولا نعود في يوم من الأيّام.

كيف تطوّر الإنسان وقد عانى «التكنوفوبيا» بعد الذي حدث ؟

بات يرهب التّكنولوجيا وما تأتي به من جديد، الخوف من تكرار ما وقع ربط همّته وأقعده عن التقدّم في فترة من الفترات ...

أكان ذلك صوابًا ؟

أكان الحل الأنجع ليغلق باب الشكّ والظنّ ؟

كلاّ لم يفعل، بل تجاوز هذه المخاوف التي لا يكون لها ظلّ في الواقع إلاّ إذا اتّبع هواه فيما يفعل، حتّى «المدجّنون» تجاوزوا مآسيهم وقلبوا صفحة الآلام والصّراع الذي نشب بينهم في الحرب حينما انقسموا وتقاتلوا فبعض مع «آخيل» وبعض مع «الآلة»، أدركت الآلات أنّ الحدود والقوانين نظام مُتّبع يحميها ويحمي غيرها، ليست عقوبة، وليست حدًّا من الحريّة، ليست استعبادًا بالمرّة.

«الآلة» و«الإنسان»، هذه القصّة التي لا تنتهي لازالت تدلي بأسرارها لمن يريد بكرم، قصّة قرأتها من «تاريخ البشرية» ولازلت أكتشف ما خفي بين سطورها، في الواقع لا تهمّني السّياسات وأنظمة الحكم، لا تستهويني مثل هذه الأمور، ما يريده الشّباب مثلي هو أن يعيشوا كبشر، أن يحسّوا بهذه الحياة، حلوها ومرّها، أن يتمتّعوا بالتّكنولوجيا المتطوّرة التي هي نتاج عقل الإنسان وعمل الآلات والرّوبوتات ...

أريد ان أعيش كلّ ذلك في مدينة ...

في بلد يعمّه السّلام والأمان ...

هذا ما نريده ...

هذا ما أريده ...

لربّما «سوار المعرفة» والذي كان «حلم» الآلة هو أوّل اختراع

جمع بين البشر، المدجّنين والآلات، فقد تعاون العلماء والمفكّرون على تحقيق هذا المشروع وقد كان، هو الآن في معصمي، أراه وأتكلّم، أتواصل به وأشارك المعرفة وآخذ ...

دون ميز أو تفرقة، كلّنا مع بعض ...

كلّ شيء ممكن، فقط إن أردنا.

فهل ستبقى الأمور على ما هي عليه ؟

هل سنتقبّل الاختلاف ونعمل مع بعض لأجل مستقبل أفضل ؟

وإن اطمأنّ الإنسان وأمن جانب الآلات هل ستتغلّب علينا مرّة أخرى ؟

هل سنحتفظ بإنسانيّتنا في ظلّ صراع آخر محتمل ؟

أحقّا سنكون ضحايا «التّكنوفوبيا» من جديد ؟

لا أرغب في ذلك ... ولا أتمنّى.

أنت حيّ ؟

*****

خاتمة:

«المشكلة الحقيقية ليست ما إذا كانت الآلات تفكر، وإنما إن كان البشر يفكّرون».

-بروهوس فردريك سكينر-

نحن البشر لنا عقول بها نتحكّم فيما نصنع ونوجد، غير أنّنا بحر هائج من الرّغبات والشّهوات، لنا «جنون» يدفعنا إلى تجاوز الحدود، هذا وإن وقعنا في شراك هوانا فإنّنا نرى وهم المستقبل البعيد حقيقة سهلة المنال، هكذا نضيّع حاضرنا في خدعة ومستقبلنا في أمنية.

«يستند التقدم في التكنولوجيا بجعلها ملائمة بحيث لا يمكنك فعلاً ملاحظتها، أن تكون جزءً من الحياة اليومية».

-بيل غيتس-

أن تجعل هذه التّكنولوجيا أمرًا طبيعيًّا مقبولا هو التّحدي بعينه، التّسارع الذي تدفعنا به إلى الأمام لا يكاد الإنسان يجاريه حتّى يسقط في فخّه، فإن واكبه أصابه الهوس، وإن فاته القطار إمّا ييأس أو يخاف، يرهب من هذه التّكنولوجيا التي ستتحكّم فيه عاجلا أم آجلا:

«التكنولوجيا خادم مفيد، لكنها سيد خطير».

-كريستيان لويس لانغ-

الخوف كلّ الخوف من سيطرة «الأشياء» على العقل، هذه الأشياء التي نمنحها قدرة على التفكير وقدرًا من الحريّة، إنّها سيطرة الآلة على الإنسان، سنصير بذاتنا آلات معدومة الإنسانيّة:

« لقد أصبح واضحاً بصورة جلية أن تكنولوجياتنا قد تجاوزت إنسانيتنا».

-ألبرت آينشتين-

الكرة في ملعبنا، إن أردنا أن نكون أسيادا لأنفسنا، أو عبيدا لأهوائنا وجنوننا.

*****